صلاح الراعي وإصلاح الرعية

قراءة في عهد الإمام علي (عليه السلام) إلى مالك الأشتر (رضي الله عنه)

ISBN 978-9933-582-17-3

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق العراقية

١٧٣٧ لسنة ٢٠١٧م

مصدر الفهرسة: IQ-KaPLI ara IQ-KaPLI rda.

رقم تصنيف LC: BP38.09.A4 K4 2017.

المؤلف الشخصي: الخفاجي، عبد الزهرة جاسم.

العنوان: صلاح الراعي وإصلاح الرعية: قراءة في عهد الإمام علي (عليه السلام) لمالك الأشتر (رضي الله عنه).

بيان المسؤولية: تأليف الدكتور عبد الزهرة جاسم الخفاجي، تقديم السيد نبيل الحسني الكربلائي.

بيانات الطبعة: الطبعة الأولى.

بيانات النشر: كربلاء: العتبة الحسينية المقدسة – مؤسسة علوم نهج البلاغة.

١٤٣٨هـ = ٢٠١٧م.

الوصف المادي: ١٢٦ صفحة.

سلسلة النشر: دراسات في عهد الإمام علي (عليه السلام) لمالك الأشتر (رضي الله عنه)– وحدة العلوم الاجتماعية؛٨ – مؤسسة علوم نهج البلاغة.

تبصرة عامة:

تبصرة ببيلوغرافية: الكتاب يتضمن هوامش – لائحة المصادر (الصفحات ١١١–١٢٥).

تبصرة محتويات:

موضوع شخصي: الشريف الرضي، محمد بن الحسين بن موسى، ٣٥٩ – ٤٠٦هجرياً – نهج البلاغة، عهد مالك الأشتر.

موضوع شخصي: علي بن أبي طالب (عليه السلام)، الإمام الأول، ٢٣قبل الهجرة – ٤٠هجرياً – أحاديث.

موضوع شخصي: علي بن أبي طالب (عليه السلام)، الإمام الأول، ٢٣قبل الهجرة – ٤٠هجرياً– رسائل.

موضوع شخصي: علي بن أبي طالب (عليه السلام)، الإمام الأول، ٢٣قبل الهجرة – ٤٠هجرياً –سياسته وحكومته.

موضوع شخصي: مالك بن الحارث الأشتر النخعي، توفي ٣٩ للهجرة – نقد وتفسير.

مصطلح موضوعي: التاريخ الإسلامي – عصر صدر الإسلام.

مصطلح موضوعي: الإسلام والدولة.

مصطلح موضوعي: الشيعة والدولة.

مصطلح موضوعي: نظام الحكم في الإسلام.

مصطلح موضوعي زمني: عصر صدر الإسلام – الأحوال الاجتماعية.

مؤلف إضافي: الحسني، نبيل قدوري حسن، ١٩٦٥م، مقدم.

مؤلف إضافي: الشريف الرضي، محمد بن الحسين بن موسى، ٣٥٩ – ٤٠٦ للهجرة – نهج البلاغة. عهد مالك الأشتر.

عنوان إضافي: نهج البلاغة. عهد مالك الأشتر.

سلسلة دراسات في عهد الإمام
علي (عليه السلام) لمالك الأشتر (رضي الله عنه) (٨)
وحدة العلوم الاجتماعية

صلاح الراعي وإصلاح الرعية

قراءة في عهد الإمام علي (عليه السلام) إلى مالك الأشتر (رضي الله عنه)

تأليف

م. د.عبد الزهرة جاسم الخفاجي

إصدار
مؤسسة علوم نهج البلاغة
في العتبة الحسينية المقدسة

جميع الحقوق محفوظة

العتبة الحسينية المقدسة

الطبعة الأولى

1438هـ - 2017م

العراق - كربلاء المقدسة -شارع السدرةمجاور مقام علي الأكبر

مؤسسة علوم نهج البلاغة

هاتف: 07728243600 - 07815016633

الموقع الألكتروني: www.inahj.org

الإيميل: Inahj.org@gmail.com

تنويه:

إن الأفكار والآراء المذكورة في هذا الكتاب تعبر عن وجهة نظر كاتبها، ولا تعبر بالضرورة عن وجهة نظر العتبة الحسينية المقدسة

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة المؤسسة:

الحمد لله على ما أنعم وله الشكر بما ألهم والثناء بما قدم من عموم نعمٍ ابتدأها وسبوغ آلاء أسداها والصلاة والسلام على خير الخلق أجمعين محمد وآله الطاهرين.

أما بعد:

فإن من أبرز الحقائق التي ارتبطت بالعترة النبوية هي حقيقة الملازمة بين النص القرآني والنص النبوي ونصوص الأئمة المعصومين (عليهم السلام أجمعين).

وإنّ خير ما يُرجع إليه في المصاديق لَحديث الثقلين «**كتاب الله وعترتي أهل بيتي**» هو صلاحية النص القرآني لكل الأزمنة متلازماً مع صلاحيّة النصوص الشريفة للعترة النبوية لكل الأزمنة.

وما كتاب الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (صلوات الله عليه) لمالك الأشتر (عليه الرحمة والرضوان) إلا أنموذجاً واحداً من بين المئات التي زخرت بها المكتبة الإسلامية والتي اكتنزت في متونها الكثير من الحقول المعرفية مظهرة بذلك احتياج الإنسان إلى نصوص الثقلين في كل الأزمنة.

من هنا:

ارتأت مؤسسة علوم نهج البلاغة أن تخصص حقلاً معرفياً ضمن نتاجها المعرفي التخصصي في حياة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) وفكره، متّخذة من عهده الشريف إلى مالك الأشتر (رحمه الله) مادة خصبة للعلوم الإنسانية التي هي أشرف العلوم ومدار بناء الإنسان وإصلاح متعلقاته الحياتية وذلك ضمن سلسلة بحثية علمية والموسومة بـ(سلسلة دراسات في عهد الإمام علي (عليه السلام) لمالك الأشتر (رحمه الله)، التي ستصدر بإذن الله تباعاً، حرصاً منها على إثراء المكتبة الإسلامية والمكتبة الإنسانية

بتلك الدراسات العلمية والتي تهدف إلى بيان أثر هذه النصوص في بناء الإنسان والمجتمع والدولة متلازمة مع هدف القرآن الكريم في إقامة نظام الحياة الآمنة والمفعمة بالخير والعطاء والعيش بحرية وكرامة.

والبحث الموسوم بـ(**صلاح الراعي وإصلاح الرعية قراءة في عهد الإمام علي (عليه السلام) لمالك الأشتر (رضوان الله عليه)** واحد من بين هذه الدراسات التي اهتمت بالحقل الاجتماعي الذي زخر به العهد الشريف فبيّن أن العلاقة الإصلاحية لا تقتصر على الرعية بل تبدأ بالراعي وتنتهي بالرعية بنسب محددة وأسس ثابتة.

فجزى الله الباحث كل خير فقد بذل جهده وعلى الله أجره والحمد لله رب العالمين.

السيد نبيل الحسني الكربلائي
رئيس مؤسسة علوم نهج البلاغة

المقدمة:

الحمد لله حمد الشاكرين والشكر لله شكر الذاكرين والصلاة وأتم التسليم على خاتم النبيين محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين وبعد.

شهدت الفترة التي سبقت خلافة الامام علي (عليه السلام) مزيجاً من الفتن واضطراباً في أنظمة الحكم التي اعتمدت القوة والقسوة للتوسع وتثبيت حكمها كما اعتمدت مبدأ الأَثَرَة في توزيع الفيء بخلاف ما كان عليه رسول الله (صلى الله عليه وآله). إذْ حصل ابتعاد عن نهج النبوة، وحصلت أوضاع لم يكن أكثر الصحابة يحبذونها ويرضون عنها، وقد بلغ الانحراف أوجَّه في حكم عثمان لأن بطانة قد التفت حوله من أقربائه، الذين كانوا محل ثقته، وهؤلاء أساؤوا استغلال ثقة

الحاكم بهم، فتلاعبوا بالثروات والمناصب مما سبَّب حالة من الغضب في أوساط من الرعية، انتهى بمقتل عثمان. وفي خِضمِّ هذه المعطيات قبل الإمام علي (عليه السلام) اختيار الأمة له خليفة للمسلمين على أن تكون حريته مطلقة في الإصلاح والتغيير.

إنَّ أهم مايتميز به الإمام علي (عليه السلام) أنه يمتلك أهم عناصر الإصلاح وهما: المبادرة والتصدي كما أنَّه كان يُقرن القول بالفعل وكان منهجه في الإصلاح يقوم على ثنائية (الراعي والرعية): «**فَلَيْسَتْ تَصْلُحُ اَلرَّعِيَّةُ إِلاَّ بِصَلاَحِ اَلْوُلاَةِ وَ لاَ تَصْلُحُ اَلْوُلاَةُ إِلاَّ بِاسْتِقَامَةِ اَلرَّعِيَّةِ**» ولذلك كانت أُولى خطواته في إصلاح ما أفسده الذين سبقوه على المستوى الإداري هو التغيير الشامل للولاة وعلى المستوى الاجتماعي هو إلغاء مبدأ الأَثَرَة والعودة إلى مبدأ الأُسوة في توزيع الفيء مخاطباً الناس قائلاً: «فأما هذا الفيء فليس لإحد على أحد فيه أثرة وقد فرغ الله من قسمته فهو مال الله، وانتم عباد الله المسلمون».

وقد وجد الإمام علي (عليه السلام) أنَّ نجاح مشروعه الإصلاحي يتطلَّب ثقافة تدعمه وتشجع الناس على ترك ماعتادوا عليه من عادات سيئة وتُحصِّنهم من القِوى التي تقف بوجه الإصلاح. فأولى تثقيف الأُمة اهتماماً بالغاً وكان متميزاً بهذا الجانب ويكاد لايخلو مصدر من مصادر التراث العربي والإسلامي من كلام له (عليه السلام). وقد بادر الشريف الرضي (ت ٤٠٦ هـ) رحمه الله فاختار من هذا الكلام وجَمَعَه في كتاب أسماه نهج البلاغة.

ويُعَدُّ عهده لمالك الأشتر (رضي الله عنه) لمّا ولاّه مصر من أهم وأطول كُتُبه (عليه السلام). ومع انّه (عليه السلام) أراد من العهد أن يكون توجيهاً لأحد ولاته في ممارسة ما عُهِد إليه من الأمور وبيّن له الإطار الإسلامي الذي يتكفّل بإرساء حكومة العدل الإلهي، والتأسيس لنظام إداري وحقوقي يبدأ من الحاكم نفسه إلّا أنّ الواقع يفيد شمول هذا العهد لكافّة الأفراد وفي كلّ عصر ومصر. وهذا ما جعله من أهمّ المصادر التي تُستسقى منه المبادئ التي تُنير طريق الولاة في إدارة ما

تَولَّوه، في كلِّ زمان، وفي كلّ مكان.

ما يعانيه المجتمع الإنساني بشكل عام والمجتمع الإسلامي بشكل خاص وما في العراق بشكل اخص فيما يتعلق بولاة الأمور (الرعاة) والمجتمع (الرعية) من سوء إدارة صارت فيه مفردة الفساد تتردد على ألسن الجميع بشكل يؤشر على أنّ الفساد صار ظاهرة تنخر في أركان الإدارة والمجتمع. صارت الحاجة ملحة للعودة الى ذلك المعين الثر لاصلاح ما فسد.

في عهده لمالك الأشتر (رضي الله عنه) قدم الإمام علي (عليه السلام) مشروعا متكاملا لإصلاح الراعي والرعية. رسم فيه اختيار (الراعي) الصالح وما يجب عليه لرعيته ووضع فيه تصورا للرعية ومشكلاتها ووضع الحلول الواقعية لتلك المشكلات.

لقد كُتِبَ الكثير بشان عهد الإمام (عليه السلام) لمالك الأشتر (رضي الله عنه) إلاّ اننا نجد أنّ هذا الأثر الخالد ما زال يرفدنا بما نحتاج إليه كلما دعت الحاجة الى ذلك وفي مختلف مجالات الحياة. فهو دستور دائم

يستمد ديمومته من فكر الإمام علي (عليه السلام) الذي لم يبلغ احد بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله) ما بلغه. يؤكد ذلك قول الامام الحسن (عليه السلام) يوم نعاه للناس: «**قَدْ قُبِضَ فِي هَذِهِ اللَّيْلَةِ رَجُلٌ مَا سَبَقَهُ الْأَوَّلُونَ وَ لَا يُدْرِكُهُ الْآخِرُونَ**».

وقد خصص هذا البحث لجوانب من عهده لمالك الأشتر (رضي الله عنه)لما فيه من فائدة للإنسانية بشكل عام وما تعانيه أمتنا بشكل خاص وفي هذا البحث محاولة لإعادة قراءة عهد الإمام (عليه السلام) لمالك الأشتر (رضي الله عنه) ودراسة لبعض ما جاء فيه خاصة فيما يتعلق بصلاح الراعي بوصفه يسوس الأمة ومنهج الامام علي (عليه السلام) في اعداده لِيُصلِح عبره الرعية ولذلك جاء البحث تحت عنوان [صلاح الراعي وإصلاح الرعية - قراءة في عهد الإمام علي (عليه السلام) لمالك الأشتر (رضي الله عنه)] وليتحقق الهدف المنشود من البحث فقد جاء في مقدمة وثلاثة مباحث وخاتمة وعلى النحو الآتي:

المقدمة: للتعريف بالبحث

المبحث اول:- مدخل سُلِّط فيه الضوء على عناصر أساسية في البحث هي: مالك الأشتر (رضي الله عنه)، و العهد، وبيان أهمية مصر.

المبحث ثاني:- تعريف الصلاح ومن هو الراعي وتناول بعض ما جاء في العهد عن صلاح الراعي.

المبحث ثالث:- تعريف الإصلاح وبين المقصود بالرعية وإصلاحها عبر ما جاء في العهد.

الخاتمة:- وفيها عَرْض ما توصل اليه الباحث.

المدخل:

إنَّ بيان معاني الألفاظ ومدلولاتها من مضانها يُعد من أهم المرتكزات التي تمكن الباحث من تشكيل تصور عام للأفكار التي يطرحها فَتتوضَّح لَديه الخطوط العريضة لموضوع الدراسة كما تساعده على ديمومة التواصل مع موضوعه وفكرته الأساسية لذلك تم تسليط الضوء في هذا المبحث على الألفاظ التي تشكل موضوع البحث وهي:

مالك الأشتر (رضي الله عنه):

هو «مالك بن الحارث بن عبد يغوث بن مسلّمة بن ربيعة بن الحارث بن جذيمة بن سعد بن مالك بن النخع من مذحج»[١].

(١) ابن سعد، محمد بن سعد بن منيع البصري (ت ٢٣٠ هـ) الطبقات الكبرى، بيروت، دار صادر، ١٩٥٧م، ٦/ ٢١٣؛ ابن حجر

إنّ التعرف على شخص مالك الأشتر (رضي الله عنه) ومعرفة أبعاد وخصائص هذه الشخصية تمكننا من الوقوف على سبب اختيار الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) له لتولي إدارة مصر في مثل ذلك الوضع الصعب بدلاً من محمد بن أبي بكر (رضي الله عنه) ولا بد أنّ يكونَ لمالك شخصية جديرة بثقة الإمام علي (عليه السلام) وقد كان كذلك فقد قال فيه عليه السلام: «**كان الأشتر لي كما كنت لرسول الله**»[1].

أحمد بن علي (ت٨٥٢هـ) الإصابة في تمييز الصحابة، بيروت-المكتبة العصرية، ط١-١٤٣٣ه، رقم ٧٦٦٠، ص ١٣١٢؛ الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد (ت٧٤٨هـ) سير أعلاء النبلاء، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط ٢- ١٩٨٢م، ٤/ ٣٤.

(١) القمي عباس (ت ١٣٥٩ هـ) سفينة البحار، قم، دار الأسوة، ط٢ -١٤١٦هـ، ٤ / ٣٨٨؛ ابن شهراشوب، أبو جعفر محمد بن علي (ت ٥٨٨هـ) مناقب آل أبي طالب، تحقيق: يوسف البقاعي بيروت، دار الأضواء ط٢، ١٤١٢هـ ١/ ٢٩١؛ ابن أبي الحديد، عز الدين عبد الحميد بن هبة الله (ت ٦٥٦هـ) شرح نهج البلاغة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، بيروت، دار احياء الكتب العربية، ط٢، ١٩٦٥م، ١٥/ ٩٨، العلامة الحلي، الحسن بن يوسف بن المطهر (ت٧٢٦هـ)

بهذه الكلمات نوَّه أمير المؤمنين (عليه السلام) بِمَقام «مالك بن الحارث النخعي»[1] (رضي الله عنه) عنده. والنَخَعي نسبة إلى النخع[2].

لم يُعرَف الكثير عن مالك قبل الإسلام كما لم تُحدد المصادر التي تناولت سيرته تاريخ ميلاده واكتفت بالقول: «وُلِد قبل الإسلام بقليل.. قبل بعثة النبي بعقدين او ما يزيد عن ذلك قليلا»[3] واسلم على عهد رسول الله (صلى الله عليه واله) ولكن لم يُذكر متى اسلم. فهو وإن عاصر النبي لكنه لم يره أو يسمع حديثه، وقد عُدَّ من التابعيين، وكان صاحب دين وقد

خلاصة الأقوال، تحقيق: جواد القيومي، قم، نشر الفقاهة، ط٤، ١٤٣١هـ، ص٢٧٧.

(١) سير أعلام النبلاء، ٤/ ٣٤

(٢) النخع: وهي قبيلة يمانية من أكبر بطون بني مذحج، وكانت تسكن في وادي بيشة في اليمن، وقد دخلت في الإسلام ونبغ منها صحابة كبار، وكان أبرزهم مالك بن الحارث الأشتر. علي الكوراني سلسلة القبائل العربية، ج١٠.

(٣) الأمين، محسن، أعيان الشيعة، تحقيق حسن الأمين، بيروت، دار التعارف ١٩٨٣م، ٩/ ٤١.

ذُكر عند رسول الله (صلى الله عليه واله) فقال فيه: «**انه المؤمن حقّاً**»[1].

كما كان من الذين قال فيهم رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): «**عصابة من المؤمنين**» الذين شهدوا موت أبي ذر الغفاري[2].

وقد شخص فيه الإمام علي (عليه السلام)هذه الخصلة عندما قال له: «**فَإِنَّكَ مِمَّنْ أَسْتَظْهِرُ بِهِ عَلَى إِقَامَةِ الدِّينِ وأَقْمَعُ بِهِ نَخْوَةَ الأَثِيمِ**...»[3].

اشتهر (بالأشتر)[4] حتى غلب هذا اللقب على اسمه وقد لحق به هذا اللقب جراء إصابة عينه في معركة اليرموك قرب حمص وهي المعركة التي دارت بين المسلمين والروم سنة (١٣ هـ)، وكان قد برز إلى

(١) أعيان الشيعة، ١/ ٤٩.

(٢) شرح النهج، ١٥/ ٩٩؛ سفينة البحار، ٤/ ٣٧٩.

(٣) سفينة البحار ٤/ ٣٨٤.

(٤) الشَّتَرَ: انشقاق جفن العين وبه سمي الأشتر النخعي. ابن دريد الاشتقاق ص٢٩٧.

ماهان قائد جيش هرقل «فأخرج ماهان عموده وضرب به مالكاً على البيضة التي على رأسه فغاصت في جبهة مالك فشترت عينه، فمن ذلك اليوم سمي بالأشتر»[1]. كما لقب «بكبش العراق»[2] لأنّه المقدم على جيش الإمام علي (عليه السلام) وحامل رايته.

لم تكن علاقته مع الإمام علي (عليه السلام) مبنية على أسس شخصية وإنما على أساس الإيمان الصادق برسالة الإسلام وبنبوة محمد (صلى الله عليه وآله) وهذا ما عبر عنه مالك (رضي الله عنه)بنفسه قائلا: «فوالله إنا لنعلم أنه ما على ظهر الأرض وصي نبي سواك، وإنّا لنعلم أن الله لا يبعث بعد نبينا (صلى الله عليه وآله) نبياً سواه، وإن طاعتك لفي أعناقنا موصولة بطاعة

(١) الواقدي، عمر بن واقد (ت٢٠٧هـ) فتوح الشام، تصحيح: عبد اللطيف عبد الرحمن، بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، ١٩٩٧م ١/ ٢١٥؛ الطبري، محمد بن جرير (ت٣١٠ هـ) تاريخ الطبري تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، مصر، دار المعارف، ط٢، ٣/ ٧٤.

(٢) المنقري، نصر بن مزاحم (ت٢١٢هـ) وقعة صفين، تحقيق:عبد السلام محمد هارون، بيروت، دار الجيل، ١٩٩٠م، ص٤٨٤.

نبينا»[1].

وكانت علاقة متميزة فقد ثبت مع الإمام علي (عليه السلام) عندما تخاذل أصحابه عنه وفرّ بعضهم الى معاوية فخاطبه حينها الإمام (عليه السلام) قائلا: «**أنت من آمن الناس عندي و أنصحهم لي وأوثقهم في نفسي إن شاء الله**»[2].

وقد شخص فيه الامام علي (عليه السلام) خصالاً قلّما تجتمع لغيره: «**كان ممن لا يخاف وهنه ولا سقطته، ولا بطؤه عما الاسراع إليه أحزم، ولا إسراعه إلى ما البطء عنه أمثل**»[3].

يعزز من هذه الصفات النصح في علاقته مع

(١) البحراني، السيد هاشم (ت١١٠٩هـ)، بغية المرام وحجة الخصام تحقيق: علي عاشور، بيروت، مؤسسة التاريخ العربي، ط١-٢٠٠١م ٤/ ٣١٨؛ العاملي، جعفر مرتضى،الصحيح من سيرة الإمام علي المركز الإسلامي للدراسات،ط١- ٢٠٠٩م، ٢١/ ٢٦.

(٢) سفينة البحار ٤/ ٣٧٩.

(٣) الأميني، عبد الحسين أحمد، الغدير في الكتاب والسنة والأدب، بيروت- الأعلمي، ط١- ١٩٩٤م، ٩/ ٦٠.

الإمام (عليه السلام) فقد قال فيه: «**كان رجلا لنا ناصحًا وعلى عدونا شديدا**»[1].

لم يكنْ مالك الأشتر (رضي الله عنه) في معزل عن الأحداث التي عصفت بالأمة الإسلامية فقد كان رافضاً للظلم أيّاً كان مصدره وكان معارضاً لسياسة ولاة عثمان المتعسفة فكان رده بليغاً على سعيد بن العاص والي الكوفة يوم قال: «إِنَّمَا السواد بستان لقريش، فَقَالَ له الأشتر: أتجعل مراكز رماحنا وَمَا أفاء الله عَلَيْنَا بستانًا لَك ولقومك؟ والله لو رامه أحد لقرع قرعا يتصأصأ منه»[2].

الأمر الذي ترتب عليه نفي الأشتر (رضي الله عنه) وأصحابه إلى الشام كما كتب إليه عثمان يتوعده: «إني لأراك تضمر شيئًا لو أظهرته لحلّ دمك، وَمَا أظنك منتهيًا حَتَّى تصيبك قارعة لا بقيا بعدها، فَإِذَا أتاك

(١) شرح النهج، ٦/ ١٢٤.

(٢) البلاذري، أحمد بن يحيى (ت٢٧٩ه)، أنساب الأشراف، تحقيق: سهيل زكار ورياض زركلي، بيروت، دار الفكر، ط١-١٩٩٦م، ٥/ ٩٢٥.

كتابي هَذَا فسر إِلَى الشام لإفسادك من قبلك وأنك لا تألوهم خبالًا»[1].

ولذلك كان من اشد المعارضين لسياسة عثمان بن عفان وكان من قادة وفد الكوفة إلى عثمان سنة ٣٥ هـ[2]، وقد دعاه عثمان لمعرفة ما يريد الناس قائلًا له: «يا أشتر ما يريد الناس مني؟ قال: ثلاثاً ليس لك من إحداهنّ بدٌّ، قَالَ: مَا هُنّ؟ قَالَ: يخيّرونك بين أن تخلع لهم أمرهم فتقول: هذا أمركم فاختاروا له من شئتم، وبين أن تقصّ من نفسك فإن أبيت هاتين فإنّ القوم قاتلوك قال: أما من إحداهنّ بدٌّ؟ قال: لا»[3]. وانتهت الأحداث بمقتل عثمان.

بعد مقتل عثمان بن عفان تهافت الناس على الإمام علي (عليه السلام) يطلبون مبايعته، فامتنع قائلاً لهم: «**دعوني والتمسوا غيري، فإنا مستقبلون أمراً له وجوه**

(١) م. ن.

(٢) تاريخ الطبري، ٤/ ٣٤٩.

(٣) طبقات ابن سعد، ٣/ ٢٧٣.

وألوان، لا تقومُ له القلوب، ولا تثبتُ عليه العقول، وإن الآفاق قد أغامَتْ، والمحجة قد تنكَّرتْ، واعلموا أني إن أجبتكم ركبت بكم ما أعلم، ولم أصغ إلى قول القائل، وعتب العاتب...»[1].

ولكن بعد إصرارهم على مبايعته قبلها (عليه السلام) وكان قبوله مشروطاً فقد قال (عليه السلام): **«إِنَّكُمْ قَدِ اخْتَلَفْتُمْ إِلَيَّ وَأَتَيْتُمْ، وَإِنِّي قَائِلٌ لَكُمْ قَوْلا إِنْ قَبِلْتُمُوهُ قَبِلْتُ أَمْرَكُمْ، وَإِلا فَلا حَاجَةَ لِي فِيهِ»**[2].

قالوا: ما قلت قبلناه إنْ شاء الله فجاء فصعد المنبر فاجتمع الناس إليه فقال: إني قد كنت كارها لأمركم فأبيتم إلّا أنْ أكون عليكم إلّا وإنه ليس لي أمر دونكم إلّا أن مفاتيح مالكم معي ألا وإنه ليس لي أنْ آخذ منه

(١) الصالح، صبحي، نهج البلاغة، القاهرة، دار الكتاب المصري، ط٤، ٢٠٠٤م، ص١٣٦.

(٢) العسكري، مرتضيم، عالم المدرستين، القاهرة، مكتبة مدبولي، ط٥، ١٩٩٣م، ١/ ١٤٢؛ المتقي الهندي، علاء الدين علي (ت٩٧٥هـ) كنز العمال، تصحيح: صفوة السقا، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط٥، ١٩٨٥، ح٢٤٧١، ٣/ ١٦١.

درهما دونكم رضيتم ؟.قالوا: نعم. قال: اللّهم اشهد عليهم ثم بايعهم على ذلك[1]. فتمّت البيعة في مسجد رسول الله (صلى الله عليه وآله) في المدينة المنوّرة يوم الجمعة لخمس بقين من ذي الحجة سنة خمس وثلاثين للهجرة.

لاشك إنّ إصرار الإمام علي (عليه السلام) على وضع أمر مال المسلمين بيده أثار شكوك ولاة عثمان الذين سخّروا جهاز الحكم لمصالحهم الخاصّة، وأُثروا ثراءاً فاحشاً ممّا اختلسوه من بيوت المال، ووجوه بني أُميّة وعشائر قريش وأيقنوا أنّ الإمام (عليه السلام) سيصادر الأموال التي منحها لهم عثمان بغير حقّ..

وسرعان مابدأت المؤآمرات تحاك للوقوف بوجه المشروع الإصلاحي للإمام علي (عليه السلام) فكانت بدايتها في مكة المكرمة بقيادة عائشة وطلحة والزبير؛ فنكثوا البيعة وخرجوا إلى البصرة بمن معهم من بني أمية ومَن حولهم. وكانت الأخبار تصل تباعاً الى الإمام

(١) يُنظر: تاريخ الطبري، ٤/ ٤٢٨.

(عليه السلام) بما دُبِّر في مكة، ثم بخروج عائشة بمن معها.

أمَرَ الإمام (عليه السلام) بأنْ يُنادى في الناس بالتأهب للمسير إلى العراق. فأتاه من يعتذر إليه من الخروج، بحجة أنّ هذه فتنة، أو بأنهم لا يقاتلون مسلماً. وكان لمالك الأشتر (رضي الله عنه) موقف يختلف عن الآخرين إذ لما بلغه نداء الإمام علي (عليه السلام) أسرع إليه وقال له: «يا أمير المؤمنين، إنّا وإنْ لم نكن من المهاجرين والأنصار، فإنا من التابعين بإحسان. وإنّ القوم وإنْ كانوا أولى بما سبقونا، فليسوا بأولى بما شركناهم فيه. وهذه بيعة عامة، الخارج منها طاعن مستعتب. فحُضّ هؤلاء الذي يريدون التخلف عنك باللسان، فإن أبوا فأدبهم بالحبس»[1].

ومن هنا صارت مواقف الأشتر (رضي الله عنه) واضحةً جَليَّة المعالم؛ فأصبح جُندياً مخلصاً لأمير

(١) الدينوري، أبو حنيفة أحمد بن داود (ت ٢٨٢هـ) الأخبار الطوال تحقيق: عبد المنعم عامر، القاهرة، دار إحياء الكتاب العربي، ط١- ١٩٦٠ م، ص١٤٣.

المؤمنين (عليه السلام)، ولم يفارقه قطُّ ولازمه في كل معاركه فقد تولى أمر تحشيد الناس في الكوفة بعد أن استأذن الإمام قائلا له: «فإن رأيت جُعلت فداك أن تبعثني في أثرهم فإن أهل الكوفة أحسن لي طاعة وإن قدمت عليهم رجوت أن لا يخالفني أحد منهم»[1]. فأذِن له. وكانت مواقفه مشهودة في حرب الجمل، أمّا في صفين فكادت تكون نهايتها على يديه لولا خدعة رفع المصاحف فقد كان على (عدوة فرس) من النصر ولكنه رضي بما رضي به أمير المؤمنين (عليه السلام)[2].

كان معاوية يحسب للأشتر (رضي الله عنه) حسابه. وكان يعده من أخلص أصحاب علي (عليه السلام) «فقد عده ضمن الخمسة الذين قنت عليهم وهم: علي والحسن والحسين -عليهم السلام- وعبد الله بن عباس

(١) المفيد، أبو عبد الله محمد بن أحمد (ت٤١٣هـ) الجمل، ط١- ١٤٠٣هـ، ص١٣٥.

(٢) يُنظر: المنقري، نصر بن مزاحم (ت٢١٢هـ) وقعة صفين تحقيق:عبد السلام هارون، بيروت، دار الجيل، ١٩٩٠م، ص٤٩٢.

والأشتر ولعنهم»[1]، حتى انه قد ساءه عندما سَمَعَ أخبار إرسال علي (عليه السلام) مالك الأشتر (عليه السلام) لولاية مصر وكان معاوية يعتقد إنَّ الأشتر (رضي الله عنه) لو وصل إلى مصر لم يعد لمعاوية أمل في استمالتها لجانبه لذلك بذل طاقته في منعه من الوصول اليها وقد كان له ذلك على يد رأس أهل الخراج المقيم في (القُلْزُم)[2] حيث بعث إليه معاوية كتابا جاء فيه: «إنّ عليا قد بعث بالأشتر إلى مصر وإن كفيتنيه سوغتك خراج ناحيتك ما بقيت، فاحتل في قتله بما قدرت عليه»[3].

فاحتال الدهقان «وحمل إليه طعاما دس في جملته عسلا جعل فيه سما، فلما شربه الأشتر قتله ومات من

(١) شرح النهج، ١٥/ ٩٨.

(٢) القلزم بالضم ثم السكون ثم زاى مضمومة وميم مدينة على ساحل بحر اليمن من جهة مصر ينسب البحر إليها. وفي هذا البحر بقرب القلزم غرق فرعون، وبينها وبين مصر ثلاثة أيام (المراصد)

(٣) المفيد، محمد بن محمد بن النعمان العكبري (ت٤١٣هـ) الامالي، دار التيار الجديد، ١/ ٨٢.

ذلك»[1] عندها «قال عمرو بن العاص: إن لله جنوداً من عسل»[2] وفي رواية ان معاوية هو الذي قال «إن لله جنوداً من عسل»[3] في حين يقول ابن كثير: «فلما بلغ ذلك معاوية وعمراً وأهل الشام قالوا: إن لله جنوداً من عسل»[4].

ولأهمية الأشتر فقد قال معاوية: «كان لعلي ابن ابي طالب يمينان قطعت احداهما يوم صفين -يعني عمار بن ياسر- وقطعت الأخرى اليوم -يعني مالك الاشتر»[5].

(١) أمالي المفيد، ١/ ٨٣.

(٢) ابن عساكر، أبو القاسم علي بن الحسن (ت٥٧١هـ) تاريخ مدينة دمشق، تحقيق: محب الدين العمري، بيروت، دار الفكر، ١٩٩٥م، ٥٦/ ٣٨٦؛ أنساب الأشراف، ٣/ ١٦٦.

(٣) ياقوت الحموي، شهاب الدين أبي عبدالله (ت ٦٢٦هـ) معجم البلدان، بيروت، دار صادر، ١٩٥٦م، ١/ ٤٥٤.

(٤) ابن كثير، أبي الفداء اسماعيل (ت ٧٧٤هـ) البداية والنهاية، تحقيق: محيي الدين أديب، بيروت، دار بن كثير، ط٢، ٢٠١٠ م، ٧/ ٣٤٦.

(٥) الثقفي، أبو إسحاق إبراهيم بن محمد (ت ٢٨٣هـ)الغارات، تحقيق: عبد الزهراء الحسيني، بيروت، دار الأضواء، ط١، ١٩٨٧م،

لقد صدق ابن أبي الحديد وهو يصف الاشتر(رضي الله عنه) : «لله أم قامت عن الأشتر، لو إنّ إنسانا يقسم أن الله تعالى ما خلق في العرب و لا في العجم أشجع منه إلا أستاذه (عليا) عليه السلام لما خشيت عليه الإثم»[1].

ولذلك قال فيه الإمام (عليه السلام) وهو يخاطب أصحابه: «**ليت فيكم إثنين مثله بل ليت فيكم مثله واحداً يرى في عدوي مثل رأيه**»[2].

وقد أَبَّنَه (عليه السلام) قائلا: «**لله دَرُّ مالك! وما مالك ؟! لو كان جَبَلاً لكان فِنْدا، ولو كَان حجَراً لكان صَلْدا، أمَا والله ليَهُدّنّ موتُك عالَما، ولَيُفرِحَنّ عالَما، على مِثل مالكٍ فلْتَبكِ البواكي وهل موجود كمالك**»[3].

ص١٦٩؛ سفينة البحار ٤/ ٣٨٦.

(١) شرح النهج، ١/ ٤٢٤.

(٢) القمي، عباس بن محمد رضا بن أبي القاسم (ت١٣٥٩هـ) منازل الآخرة، ترجمة: حسين كوراني، سوريا دار التعارف، ١٩٩٣م، ص ١٢٤.

(٣) الغارات، ص١٧٠.

وقال (عليه السلام): «**لا أرى مثله بعده أبدا**»[1].

ولذلك تتوقف الأقلام في مدح مالك (رضي الله عنه) عند مدح الإمام علياً (عليه السلام) فقد مدحه «ومَدْحُ الإمام أمام كل مَدْح ومن تصدّى للقول بَعْدَه فقد تعرَّض للقدح»[2]

إن في ما تقدم من مشاهد سيرة مالك الأشتر (رضي الله عنه) يعطي صورة عن إنّ الرجل كان من ذوي الحزم والحسم والإعتداد بالرأي لا يتردد إطلاقاً في اتخاذ الإجراء الكامل والحاسم فيما يرى أنّه الصواب وما يجب أنْ يكون. هذه الصفات التي أهلته ليكون مرشحَ الإمام علي (عليه السلام) لإدارة ولاية تعد الأهم بين ولايات الدولة الإسلامية، وعلى وفق منهج كان أنموذجا يتعدى حدود الدولة الإسلامية لو أتيح له التطبيق.

(١) الشيخ المفيد، محمد بن محمد بن النعمان (ت٤١٣هـ) الإختصاص، تحقيق: علي أكبر غفاري، بيروت، مؤسسة الأعلمي، ط١، ٢٠٠٩م، ص٨٧.

(٢) سفينة البحار، ٤/ ٣٨٧.

عهد الإمام علي (عليه السلام) لمالك الأشتر (رضي الله عنه):

معنى العهد لغةً:

العَهْـدُ: «الوَصِيَّـةُ والأَمـر قـال اللهُ عـز وجـلّ: ﴿**أَلَمْ أَعْهَـدْ إليكُـمْ يـا بَنِـي آدَمَ**﴾.

وكذا قوله تعالى: ﴿**وعَهِدْنَا إلى إبراهيمَ وإسماعيلَ**﴾.

وقـال البيضـاويُّ أَي أَمرناهما لكـونِ التوصيـةِ بطريـقِ الأمـر. وقـال شـيخُنا: وجعـل بعضُهُـم العَهْـدَ بمعنَـى المَوْثِـقِ إلا إذا عُـدِّيَ بـإلى فهـو حينئـذٍ بمعنـى الوصيـة»[1].

«والعَهْـدُ التقـدُّم إلى المـرءِ في الـشيءِ والعهـد الـذي يُكتـب للـولاة وهـو مشـتق منـه»[2].

و«العَهْـدُ... عَهِـدَ إليـه مـن بـاب فَهِـم أي أوصـاه ومنـه

(١) الزبيـدي، محمـد بـن محمـد بـن عبـد الـرزاق (ت١٢٠٥هـ) تـاج العـروس مـن جواهـر القامـوس، تحقيـق: مجموعـة مـن المحققـين، بـيروت، دار الهدايـة .

(٢) ابـن منظـور، لسـان العـرب، تحقيـق: عبـد الله علـي الكبـير وآخـرون، القاهـرة، دار المعـارف .

اشتق العَهْدُ الذي يُكتب للولاة»[1].

معنى العهد اصطلاحًا:

قال الجرجانيّ: «العهد: حفظ الشّيء ومراعاته حالًا بعد حال. هذا أصله ثمّ استخدم في الموثق الّذي يلزم مراعاته»[2].

اعتاد الإمام علي (عليه السلام) أن يكتب لولاته أوامر ووصايا يرجعون إليها في إدارة ولاياتهم بالرغم من معرفته الدقيقة لولاته إلاّ أنَّهُ كان حريصا على أنْ يُوجههم الوجهة الصحيحة عبر رسم الخطوط العريضة لما يجب ان تكون عليه سياساتهم في إدارة ولاياتهم «فقد كتبإلى محمد بن أبي بكر (رضي الله عنه) برنامجاً أخلاقياً لتهذيب النفوس وتطهير القلوب وتقوية عنصر التقوى

(١) عبد الحميد، محمد محيي الدين، المختار من صحاح اللغة، القاهرة، المكتبة التجارية، ص٣٦١.

(٢) الجرجاني، علي بن محمد (ت٨١٦هـ)معجم التعريفات، تحقيق: محمد صديق المنشاوي، القاهرة، دار الفضيلة، ص ١٣٤.

في الانسان»[1]. وعهد الإمام علي (عليه السلام) هوكتاب كتبه لمالك الأشتر النخعي عندما قرر أن يوليه على مصر وأعمالها حين اضطرب أمر واليها محمد بن أبي بكر، وقد وصف بأنه أطول عهد كتبه الإمام وأجمعه للمحاسن[2].

وما يلاحظ على العهد انه جاء على فقرات تكون بدايتها على صيغة الأمر وهذا يعني أنَّ الإمام علياً (عليه السلام) أراد بذلك إلزام الوالي بتنفيذ ما جاء بالكتاب مشعرا إياه ان هناك عيناً تراقبه ولذلك تكررت عبارات التنبيه والتحذير في فقرات الكتاب. والعهد «نسيج وحده ومنه تعلّم الناس الآداب والقضايا والأحكام والسياسة»[3]

يتبين مما جاء في العهد إن غرض الإمام (عليه السلام) هو إصلاح الحُكم والحاكم وجوهر هذا

(١) الشيرازي، ناصر مكارم، نفحات الولاية، إعداد: عبد الرحيم الحمراني، قم، سليمان زاده، ط٢، ١٤٢٦هـ، ١٠/ ٢٨٠.

(٢) يُنظر: صبحي الصالح، نهج البلاغة، ص٤٢٦.

(٣) نفحات الولاية ١٠/ ٢٨١.

الإصلاح هو العدل المنصف المعزز بالعفو المبتعد قدر المستطاع عن العقوبة

«ولا تندمن على عفوٍ ولا تبجحن بعقوبة»[1].

والذي عناه الإمام علي (عليه السلام) أن العفو والنصح وتعريف المخطيء بخطئه أفضل في بناء المجتمع السليم من العقوبة. مؤكدا على إنسانية العلاقة بين الراعي والرعية. القائمة على التسامح والرحمة والمواساة مشعرا الوالي أنه تحت عين المراقبة في حركاته وسكناته.

وأهمية هذا العهد أنه: «ناظر لجميع أبعاد وجهات الإدارة والتدبير لأمور الحكومة ويحتوي على أصول ثابتة وقواعد متماسكة لايطرأعليها القدم، ولاتبلى أبداً وترسم في مضامينها كافة تفاصيل الحياة السياسية والإدارية في الحكومة الإسلامية»[2].

غير أنَّ العهد لم يصل إلى مصر وإنما «صار إلى

(١) شرح نهج البلاغة، ١٧/ ٣٢.

(٢) نفحات الولاية، ١٠/ ٢٨٠.

معاوية لمّا سَمَّ الأشتر (رضي الله عنه) ومات قبل وصوله إلى مصر فكان ينظر فيه ويعجب منه»[1].

وقد كانت خسارة للإنسانية لأن الإمام (عليه السلام) أراد من العهد أن يكون خطاباً للحكام مسلمين وغير مسلمين عبر شخص مالك الأشتر (رضي الله عنه) كما أنّ العهد كُتب في زمن هو من أكثر أزمنة الدولة الإسلامية عدلاً للإنسان وإنصافاً لحقوقه؛ لأنه زمان خلافة الإمام علي (عليه السلام).

أهمية مصر:

كانت مصر غنيةً بجندها وثرية بخراجها فقد «جبا عمرو بن العاص مصر لعمر بن الخطاب أثني عشر ألف ألف دينار، فصرفه عنها عثمان بعبد الله بن أبي سرح فجباها أربعة عشر ألف ألف دينار»[2] « واستقر خراج مصر في أيام معاوية على ثلاثة آلاف ألف

(١) الغارات، ص١٦٠.

(٢) ابن حوقل، كتاب صورة الأرض، بيروت: مكتبة الحياة، ١٩٩٢، ص١٢٨-١٢٩.

دينـار...»[١] وهـو مبلـغ كان يغطـي العديـد مـن النفقـات التي كان يحتاجها معاوية في حربه ضد الإمام علي (عليه السلام)، وفي تثبيت حكمه وشراء الذمم أوكانت مصر في مقدمة الولايات التي انتفضت على عثمان فكان على رأس وفدها إليه «الغافقي بن حرب العكي»[٢]. وبعد أنْ تمت البيعة للإمام علي (عليه السلام) دخلت مصر في طاعته فعين قيس بن سعد والياً عليها «وخرج في سبعة من أصحابه حتى أتى مصر وقرأ عليهم كتاباً يعلمهم بمبايعته وطاعته وأنه أميرهم»[٣].

وبدخول مصر في طاعة علي (عليه السلام) وانتصاره على الناكثين في البصرة وجد معاوية نفسه بين فكي كمّاشة؛ لذلك حاول استمالة مصر إليه بكل الوسائل فعرض على قيس ان ينقلب على الإمام علي (عليه السلام) «ويعظم قتل عثمان ويطوّقه عليًا،

(١) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، بيروت: دار صادر، د.ت، ٢: ٢٣٣.

(٢) تاريخ الطبري ٤/ ٣٤٨.

(٣) ابن خلدون، عبد الرحمن (ت٨٠٨هـ) تاريخ ابن خلدون، بيروت: دار الفكر، ٢٠٠٠، ٢/ ٦٢٣.

ويحضّه على البراءة من ذلك ومتابعته على أمره، على أن يوليه العراقين إذا ظفر ولا يعزله، ويولّي من أراد من أهله الحجاز كذلك ويعطيه ما يشاء من الأموال...»[1] لم يفلح معاوية في ما سعى إليه وباءت كل محاولاته بالفشل.

وبعد انصراف الناس من صفين انتظاراً لنتائج التحكيم بايع أهل الشام معاوية خليفة واختلف الناس بالعراق على الإمام علي (عليه السلام) فما كان لمعاوية هم إلاّ مصر فكان يرجو: «أن يكون إذا ظهر عليها ظهر على حرب علي، لِعِظم خراجها، قال: فدعا معاوية من كان معه من قريش.. ومن غيرهم... فقال لهم: أتدرون لِمَ دعوتكم؟ إني قد دعوتكم لأمر مهم أحب أن يكون الله قد أعان عليه... فقال عمرو بن العاص: أرى والله أمر هذه البلاد الكثير خراجها والكثير عددها وعدد أهلها، أهمك أمرُها، فدعوتنا إذن لتسألنا عن رأينا في ذلك، فإن كنت لذلك دعوتنا، وله

(١) المصدر السابق.

جمعتنا، فاعزم وأقدم، ونِعم الرأي رأيت! ففي افتتاحها عِزُّكَ وعِز أصحابك، وكبت عدوك وذُلّ أهل الخلاف عليك»[1].

و كانت مصر في نفس عمرو بن العاص لأنه هو الذي فتحها في سنة تسع عشرة من الهجرة في خلافة عمر فكان لعظمها في نفسه و جلالتها في صدره و ما قد عرفه من أموالها و سعة الدنيا لا يستعظم أن يجعلها ثمنا من دِينِه. ولذلك ساوم معاوية عليها فقد قيل «كَتب علي إلى عمرو، فأقرأه معاوية وقال: قد ترى (ما كتب إلي علي)، فإما أن ترضيني، وإما أن ألحق به، قال: ما تريد ؟، قال: مصر، فجعلها له»[2].

وهكذا فان «عمرو بن العاص بايع معاوية على قتال علي بن أبي طالب (عليه السلام) وإنّ له مصر طعمة مابقي»[3]. وقد حاول عدد من الكتاب أنْ يفندوا

(١) تاريخ الطبري، ٥/ ٩٨.

(٢) ابن عساكر، ١٣ / ٢٦١

(٣) الغارات، ص١٧٣.

هذا الاتفاق باعتباره لايليق باصحاب رسول الله (صلى الله عليه وآله)؛ إلاّ أنَّ العقاد قال فيه: «ولو اجتمعت التواريخ قاطبة على نقضه، إن الاتفاق بين الرجلين كان اتفاق مساومة ومعونة على الملك والولاية وإنّ المساومة بينهما كانت على النصيب الذي آل الى كل منهما. ولولاه ما كان بينهما اتفاق»[1].

ولّما اضطربت مصر على محمّد بن أبي بكر (رضي الله عنه) واشتدت الفتنة فيها كتب إلى الإمام علي (عليه السلام) يخبره بذلك ومما جاء في كتابه: «فإن كان لك في أرض مصر حاجة فامددني بالأموال والرجال» فلما قرأ الإمام (عليه السلام) كتاب محمد ساءه ذلك كثيراً وقال: «ما لمصر إلا أحد الرجلين صاحبنا الذي عزلناه عنها -يعني قيس بن سعد بن عبادة- أو مالك بن الحارث -يعني الأشتر- هذا فانتدب الإمام (عليه السلام) مالكاً وولّاه عليها»[2]. وكتب اليهم يعرفهم به

(١) العقاد، عباس محمود، شخصيات إسلامية، بيروت، دار الكتاب العربي، ٣/ ٨٤٤.

(٢) أمالي المفيد، ٤/ ٤٩

«فقد بعثت إليكم عبداً من عباد الله لا ينام أيّام الخوف، ولا ينكل عن الأعداء ساعة الرَّوع، أشدُّ على الفجّار من حريق النار، وهو مالك...»[1].

(١) صبحي الصالح، نهج البلاغة، ص٤١١.

المبحث الأول : صلاح الراعي

الصلاح لغةً:

من المؤكد إنَّ الصلاح هو الأساس الذي يقوم عليه بناء المجتمع السليم وبغيره لايمكن للحياة أنّ تستقيم؛ إذ لايمكن للإنسان أن يعيش سعيداً في مجتمع يسوده الفساد وتكمن أهمية الصلاح في كونه «جامعاً لكل خير وله مراتب غير متناهية ومرتبة الكمال فيه مَرْتَبة عُليا ولذا طلبها الأنبياء[1]» [2]. ولذلك جاء تعريف الصلاح على أنه نقيض الفساد.

(صَلَحَ) «الصَّادُ وَاللَّامُ وَالْحَاءُ أَصْلٌ وَاحِدٌ يَدُلُّ عَلَى

(١) يُنظر الايات: يوسف: ١٠١، الشعراء: ٨٣، النمل: ١٩، القصص:٢٧، الصافات: ١٠٠.

(٢) الآلوسي، شهاب الدين السيد محمود (ت١٢٧٠هـ) روح المعاني، تحقيق: علي عبد الباري عطية، بيروت، دار الكتب العلمية، ط١- ١٤١٥هـ، ٤/ ٣٢٥.

خِلَافِ الْفَسَادِ. يُقَالُ: صَلُحَ الشَّيْءُ يَصْلُحُ صَلَاحًا»[1]. وقيل «الصَّلَاح: ضِدُّ الفَسَادِ»[2]. وقيل: «الاستقامة والسَّلامة من العيب»[3].

الصلاح اصطلاحًا:

«هو سلوك طريق الهدى. وقيل هو استقامة الحال على ما يدعو إليه العقل والشرع. والصالح القائم بما عليه من حقوق العباد وحقوق الله تعالى»[4]. وعرفه

(١) أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفى: ٣٩٥هـ) معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، بيروت - دار الفكر، ١٩٧٩م، ٣/ ٣٠٣.

(٢) الجوهري، إسماعيل بن حماد (ت٣٩٣هـ) تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، بيروت، دار العلم للملايين، ط٢، ١٩٧٩م؛ ١/ ٣٨٣؛ الرازي، زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر (ت٦٦٦هـ) مختار الصحاح، بيروت، مكتبة لبنان، ١٩٨٩م، ص٢٢؛ لسان العرب، ٢٧/ ٢٤٧٩.

(٣) مجمع اللغة العربية؛ المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، ط٤، ٢٠٠٤م، ص٥٢٠.

(٤) أبو البقاء، أيوب بن موسى الحسيني (ت ١٠٩٤هـ) الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، تحقيق: عدنان درويش

الالـوسي قائـلاً: «الصـلاح هـو عبـارة عـن الإتيـان بـما ينبغـي، والتحـرز عـما لا ينبغـي»[1].

الراعـي: «الـوالي.. وكل مـن ولي أمـر قـوم فهـو راعيهم وهـم رعيته»[2].

إنّ مـا جـاء في عهـد الإمـام عـلي (عليـه السـلام) الى مالـك الأشـتر (رضي الله عنـه) يعكـس رؤيـة الإمـام عـلي (عليـه السـلام) في كيفيـة إدارة دفـة الحكـم، فالإمـام (عليـه السـلام) يؤكـد عـلى أهميـة البعـد الشـخصي والصفـات الشـخصية التـي يجـب أن تتوفـر في مـن يتصـدى للقيـادة والتـي تلعـب دوراً أساسـياً في نجـاح القائـد أو فشـله ولذلـك جـاء العهـد شـاملا بـكل مايتعلـق بمؤسسـة الحكـم مبتدئـاً بتحديـد مسـؤولية الراعـي ومبينـا خطـورة

- محمـد المـصري، بـيروت - مؤسسـة الرسـالة، ص٥٦١؛ التهانـوي، محمـد بـن عـلي ابـن القـاضي محمـد (ت بعـد ١١٥٨هـ) موسـوعة كشـاف اصطلاحـات الفنـون والعلـوم، تحقيـق: عـلي دحـروج، بـيروت - مكتبـة لبنـان نـاشرون، ط١، ١٩٩٦م، ٢/ ١٠٩٣.

(١) روح المعاني ٤/ ٢٠٣.

(٢) لسان العرب ١٧/ ١٦٧٧.

منصبه وما يتطلبه من خصائص لابدّ أن يتحلّى بها من يتصدى لمسؤولية هذه الوظيفة وإنَّ ضرورة هذه الخصائص تزداد كلّما كان المنصب مهماً. ولذلك فإن الإمام علياً (عليه السلام) كان يختار الرجلَ المناسب للمكان المناسب ولم يحدث أنّه اختار من ولاته من لايمتلك المؤهلات الذاتية للحكم التي تحفظ له توازنه في إدارة ما أُوكل إليه من مهمة، كما جاء في قوله (عليه السلام) : «**إذا قَوِيَ الوالي في عمله حرَّكْته ولايته على حسب ما هو مركوز في طبعه من الخير والشر**»[1].

وهذا ماكان يتمتع به مالك الأشتر (رضي الله عنه) على حد وصف الإمام علي (عليه السلام) قائلا له: «**أما بعد، فانك مَنْ اسْتَظْهِرُ به على إقامة الدين وأقمعُ به نخوة الأثيم، وأسدُّ به ثغر المخوف**»[2].

فولاّه مصر وقال له: «ليس لها غيرك، أُخرج رحمك اللهَّ! فإني إن لم أوصك اكتفيت برأيك واستعن

(١) شرح نهج البلاغة، ٢٠/ ٢٦٩

(٢) الغارات: ١٠٤، سفينة البحار: ٤/ ٣٨٤.

بـالله عَـلَى مَـا أهمـك، فاخلـط الشـدة باللـين، وارفـق مَـا كَانَ الرفـق أبلـغ، واعتـزم بالشـدة حـين لا يغنـي عنـك إلا الشـدة»[1] وحـدد لـه مهـام وظيفتـه في مـصر «جباية خراجهـا، وجهـاد عدوهـا، واسـتصلاح أهلهـا، وعـمارة بلادهـا»[2].

وكان الإمـام عـلي (عليـه السـلام) يـرى أنّ عمليـة الإصـلاح تكامليـة بـين الراعـي والرعيـة: «**فَلَيْسَتْ تَصْلُحُ الرَّعِيَّةُ إِلَّا بِصَلَاحِ الْوُلَاةِ وَلَا تَصْلُحُ الْوُلَاةُ إِلَّا بِاسْتِقَامَةِ الرَّعِيَّةِ**»[3]، وصـلاح الـوالي يبـدأ مـن إصـلاح ذاتـه وعـلى مـن يريـد أنْ يتـولى إدارة غـيره أنْ يبـدأ بـإدارة نفسـه كـما جـاء في قـول الامـام عـلي (عليـه السـلام): «**مَـنْ نَصَـبَ نَفْسَـهُ لِلنَّـاسِ إِمَاماً فَعَلَيْـهِ أَنْ يَبْـدَأَ فَلْيَبْـدَأْ بِتَعْلِيـمِ نَفْسِـهِ قَبْـلَ تَعْلِيـمِ غَـيْرِهِ وَ لْيَكُـنْ تَأْدِيبُـهُ بِسِـيرَتِهِ قَبْـلَ تَأْدِيبِـهِ بِلِسَـانِهِ**»[4].

(١) تاريخ الطبري، ٥/ ٩٥.

(٢) شرح نهج البلاغة، ١٧/ ٣٠.

(٣) صبحي الصالح، نهج البلاغة، خطبة ٢١٦، ص٣٣٣.

(٤) المصدر نفسه، حكمة ٧٣، ص٤٨٠.

وبهذا الإتجاه جاءت وصاياه وأوامره الى عماله والتي يهدف فيها إلى إصلاح نفس (الراعي) وقد تضمن عهده (عليه السلام) إلى مالك الأشتر (رضي الله عنه) توجيهات واضحة لبناء شخصية الوالي، فقد أمره فيها بأمور هي على مايبدو أركان صلاح الراعي : «أمره بتقوى الله وإيثار طاعته، واتباع ما أمر به في كتابه: من فرائضه وسننه التي لا يسعد أحد إلا باتباعها، ولا يشقى إلا مع جحودها وإضاعتها، وأن ينصر الله سبحانه بقلبه ويده ولسانه، فإنه جلّ اسمه قد تكفل بنصر من نصره وإعزاز من أعزه. وأمره أن يكسر نفسه من الشهوات ويزعها عند الجمحات، فإن النفس أمارة بالسوء إلا ما رحم الله»[1].

والإمام علي (عليه السلام) عندما يأمر بذلك إنما يريد أن يُخضع - (ذات نفس)- ولاته إلى عملية إصلاح شامل لأنّ النفس هي الميدان الأول للإصلاح وبها يبدأ الإصلاح الحقيقي فالذي يقدر على إصلاح

(١) شرح نهج البلاغة، ١٧/ ٣٠.

نفسه يكون على غيرها أقدر وفلاح العبد في الدنيا والآخرة مرتبط بصلاح نفسه فقد قال تعالى: ﴿**وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا* فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا* قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا* وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا**﴾[1].

وهكذا حدد الإمام علي (عليه السلام) أُسس صلاح الوالي: «أنْ يكون متقياً مطيعاً لله متبعاً لأوامره، ناصراً له تعالى، قامعاً شهوته عن الحرام مانعاً نفسه عن المعاصي»[2]. وسيتناولها البحث كما يأتي:

١ـ أن يكون متقياً مطيعاً لله تعالى:ـ

التقوى: «من الوقاية، وهي ما يحمي به الإنسان نفسه»[3]. وقد وردت (التقوى) في القرآن الكريم بهذا اللفظ في خمس عشرة مرة كما وردت بصور بيانية

(١) الشمس: ٧-١٠

(٢) الراوندي، سعيد بن هبة الله (ت٥٧٣هـ) منهاج البراعة، تحقيق: عبد اللطيف الكوهكمري، قم – مطبعة الخيام، ١٤٠٦ هـ، ١٦٩/٣.

(٣) لسان العرب، ١٥/ ٤٠١.

أخرى في مواضع عدة[1]. ولمفردة التقوى مساحة كبيرة في كلام الإمام علي (عليه السلام) وتكاد لاتخلو منها خطبة من خطبه أو كتاب يوجهه إلى عامل من عماله، ومما قاله في التقوى: «**التَّقْوَى سِنْخُ الْإِيمَانِ**»[2] أي: أصله وأساسه، وقال (عليه السلام): «**إِنَّ تَقْوَى اللهِ مِفْتاحُ سَداد، وذَخيرَةُ مَعاد، وعِتْقٌ مِنْ كُلِّ مَلَكَة، وَنَجاةٌ مِنْ كُلِّ هَلَكَة، بِها يَنْجُوالهارِبُ، وتُنْجَحُ المَطالِبُ، وَتُنالُ الرَّغائِبُ**»[3]. وفي بيان علامات المتقين ماجاء في قول الله تعالى: ﴿**لَّيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلآئِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّآئِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُواْ وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاء والضَّرَّاء وَحِينَ الْبَأْسِ**

(١) يُنظر: الدبيسي، محمد، التقوى في القرآن الكريم، القاهرة، دار المحدثين، ط١ - ٢٠٠٨م، ص٣٠.

(٢) الكافي، الأصول، ٢/ ٣٥.

(٣) صبحي الصالح، نهج البلاغة، ص٣٥١.

﴿أُولَـئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَـئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾[1].

وفيما نقل عن الإمام الباقر (عليه السلام) قال: «**كان أمير المؤمنين (عليه السلام) يقول: لأهل التقوى علامات يُعرفون بها: صدق الحديث، وأداء الأمانة، والوفاء بالعهد، وقلّة الفخر والبخل، وصلة الأرحام، ورحمة الضعفاء، وقلّة المؤاتاة للنساء، وبذل المعروف، وحسن الخلق، وسعة الحلم، واتّباع العلم فيما يقرّب إلى الله عزّ وجلّ**»[2] والتقوى كما فسرها الإمام الصادق (عليه السلام) «**ان لايفقدك الله حيث امرك ولايراك حيث نهاك**»[3] فالتقوى إذن: «قوة روحية تتولد من

(١) البقرة: ١٧٧.

(٢) الصدوق، أبو جعفر محمد بن علي (ت٣٨١ه)، كتاب الخصال، صححه: علي أكبر الغفاري، قم، الحوزة العلمية.لخصال، باب الاثنى عشر، ص ٤٨٣، النيشابوري، محمد بن الفتال (ت٥٠٨هـ) روضة الواعظين، تحقيق غلام حسين المجيدي، قم- مطبعة نكارش، ط١، ١٤٢٣م، ٢/ ٣٨٣.

(٣) الحر العاملي، محمد بن الحسن (ت١١٠٤هـ)وسائل الشيعة، تحقيق: مؤسسة آل البيت، قم، مطبعة مهر، ط٢، ١٤١٤هـ، ح ٢٠٣٨١، ١٥/ ٢٣٩؛ الثعلبي، أبو اسحق أحمد (ت٤٢٧هـ) الكشف

التمرين العملي الذي يحصل من الحذر المعقول من الذنوب»[1]. فهي حالة في الانسان تنمو بالمتابعة الفكرية والتربية الروحية، ولذلك كان الإمام علي (عليه السلام) ينمي التقوى في المجتمع عبر الخطب والرسائل ومتابعة تنفيذ مايطرحه بنفسه وعبر جهاز رقابي واسع.

ولم تزل التقوى دعوة جميع الأنبياء إلى الأمم التي بُعثوا إليها فكانت هدفا تسعى الرسالات السماوية الى تحقيقها في نفوس الناس كما في قوله تعالى: ﴿**وَلله مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُواْ الله وَإِن تَكْفُرُواْ فَإِنَّ لله مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَكَانَ الله غَنِيّاً حَمِيداً**﴾[2].

والبيان، تحقيق: محمد بن عاشور، بيروت، دار احياء التراث العربي، ط١- ٢٠٠٢م، ١/ ١٤٤.

(١) المطهري، مرتضى، في رحاب نهج البلاغة، بيروت - الدار الإسلامية، ط١-١٩٩٢م، ص١٣٦؛ الحائري، أيوب، قبسات من نهج البلاغة، ص٨٤.

(٢) النساء: ١٣١.

فالتقوى اذن «شريعة عامة لجميع الأمم لم يلحقها نسخ ولاتبديل، بل هي وصية الله في الأولين والآخرين»[1]. والتقوى تنتهي بصاحبها إلى الجنة كما يقول الإمام علي (عليه السلام): «**أَلاَ وَإِنَّ التَّقْوَى مَطَايَا ذُلُلٌ حُمِلَ عَلَيْهَا أَهْلُهَا، وَأُعْطُوا أَزِمَّتَهَا، فَأَوْرَدَتْهُمُ الجَنَّةَ**»[2].

وبين (عليه السلام) أهمية التقوى في الحياة الدنيا وعاقبة المتقين في الآخرة فقال: «**فَإِنَّ التَّقْوَى فِي الْيَوْمِ الحرْزُ وَالجُنَّةُ، وَفِي غَد الطَّرِيقُ إِلَى الجَنَّة**»[3].

ويخلص الطباطبائي في تفسيره للآية الكريمة: ﴿**لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَآمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوْا وَآمَنُوا ثُمَّ اتَّقَوْا وَأَحْسَنُوا وَاللهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ**﴾[4].

(١) الرازي، محمد فخر الدين (ت٦٠٤هـ) تفسير الفخر الرازي، بيروت-دار الفكر، ط١، ١٩٨١م، ١١/ ٧١.

(٢) صبحي الصالح، نهج البلاغة، خ ١٦، ص٥٨.

(٣) صبحي الصالح، نهج البلاغة، خ١٨٩، ص٢٨٤.

(٤) المائدة:٩٣.

إلى القول: «وأما تكرار التقوى ثلاث مرات، وتقييد المراتب الثلاث جميعاً به فهو لتأكيد الإشارة إلى وجوب مقارنة المراتب جميعاً للتقوى الواقعي من غير غرض آخر غير ديني، وقد مرّ في بعض المباحث: أن التقوى ليس مقاماً خاصاً دينياً بل هو حالة روحية تجامع جميع المقامات المعنوية أي لكل مقام معنوي تقوى خاص يختص به»[1]

وقَرَنَ الإمام علي (عليه السلام) التقوى بالطاعة لله تعالى فقال: (وإيثار طاعته) على أن تُؤثَر هذه الطاعة عمّا سواها[أ] فمن وصيته لأحد عماله: «**واعمل بطاعة الله فيما ولاك منها**»[2]، كما عدّ أنَّ طاعة الله وطاعة الإمام من فعل المتقين؛ فقد كتب إلى سعد بن مسعود واليه على المدائن: «..**وأطعت ربك، وأرضيت إمامك فِعْلُ المُبِرِّ النقي النجيب**»[3].

(١) الطباطبائي، السيد محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن، بيروت مؤسسة الإعلمي، طا ١٩٩٧، ٦/ ١٢٨.

(٢) تاريخ اليعقوبي ٢/ ١٠٩.

(٣) م. ن ٢/ ١٠٤.

٢ـ أن يكون متبعاً لأوامر الله تعالى :

«واتباع ما أمر به في كتابه: من فرائضه وسننه التي لا يسعد أحد إلا باتباعها، ولا يشقى إلا مع جحودها وإضاعتها»(١).

ولاشكَ أنّ أمر الإمام علي (عليه السلام) لمالك (رضي الله عنه) ولكل الولاة باتباع فرائض الله تعالى، لكي تكون حياتهم امتداداً لتلك الفرائض وتعبيراً عن عبوديتهم لله تعالى وتطبيقاً لما في تلك الفرائض من مفاهيم الإستعانة بالله والثقة به. وهنا يرسم الإمام علي (عليه السلام) لولاته طريق العلاقة بالله تعالى، ليكون الوالي على صلة دائمة مع الله تعالى فيتجنب الزلل أو الانحراف عن طريق الحق عبر استشعاره المستمر بوجود الرقيب معه.

وقد بين رسول الله (صلى الله عليه وآله) أهمية أداء الفرائض: «**قال إن الله تعالى يقول: (من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب**

(١) شرح نهج البلاغة، ١٧/ ٣٠.

إلي مما افترضته عليه وما يزال عبدي يتقرب إلي حتى أحبه)»[1].

كما بين الإمام علي (عليه السلام) المقصود بالفرائض فقال: «**أما ما فرضه الله سبحانه في كتابه فدعائم الإسلام، وهي خمس دعائم: وعلى هذه الفرائض الخمس بُني الإسلام، فجعل سبحانه لكل فريضة من هذه الفرائض أربعة حدود لا يسع أحدا جهلها، أولها الصلاة ثم الزكاة ثم الصيام ثم الحج ثم الولاية، وهي خاتمتها والجامعة لجميع الفرائض والسنن**»[2].

وقد اعتبر أداء الفرائض من أفضل العبادات فقال: «**لا عبادة كأداء الفرائض**»[3].

ومن كلام للإمام الحسن العسكري (عليه السلام) بين فيه ما أراد الله تعالى بفرض الفرائض يقول به: «**إن**

(١) ابن رجب، زين الدين أبو الفرج عبد الرحمن (ت٧٩٥هـ) جامع العلوم والحكم، تعليق ماهر ياسين، بيروت، دار ابن كثير، ط١- ٢٠٠٨، ح ٣٨، ص٧٧٠.

(٢) وسائل الشيعة، ح٣٥، ١/ ٢٨.

(٣) صبحي الصالح،حكَم ١١٣، ص٤٨٨.

الله بمنه ورحمته لما فرض عليكم الفرائض لم يفرض ذلك عليكم لحاجة منه إليكم بل برحمة منه لا إله إلا هو عليكم ليميز الخبيث من الطيب وليبتلي ما في صدوركم وليمحص ما في قلوبكم لتسابقوا إلى رحمة الله ولتتفاضل منازلكم في جنته ففرض عليكم الحج والعمرة وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة والصوم والولاية»[1].

وأداء الراعي لفرائض الله هو بمثابة الإعداد المعنوي له.

وأهم الفرائض المُقَرِّبة إلى الله تعالى، عدل الراعي في رعيته كما جاء في حديث رسول الله (صلى الله عليه وآله): «**إن أحب العباد إلى الله يوم القيامة وأدناهم إليه مجلساً إمام عادل**»[2].

(١) المامقاني، عبد الله (ت١٣٥١هـ) تنقيح المقال في علم الرجال، تحقيق: محيي الدين المامقاني، قم، مؤسسة آل البيت، ط١- ١٤٢٣هـ، ٤/ ١٦٣.

(٢) الترمذي، محمد بن عيسى (ت٢٧٩ه) سنن الترمذي، تحقيق: احمد محمد شاكر وآخرون، مصر، مصطفى البابي الحلبي، ط٢- ١٩٧٥م ح ١٣٢٩، ٣/ ١٠.

ومن المؤكد إنّ الأنموذج الأمثل بالعدل بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله) هو الإمام علي (عليه السلام) ويكفي أن نسوق مثلاً لأهمية العدل عند الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) ما جاء في كلام ابن الأثير المؤرّخ المعروف في وصف عدالة الإمام (عليه السلام): **«إنّ زهده وعدله لا يمكن استقصاؤهما، وماذا يقول القائل في عدل خليفةٍ يجد في مالٍ جاءه من أصفهان رغيفاً فيقسِّمه أجزاءاً كما قسّم المال، ويجعل على كل جزء جزءاً، ويساوي بين الناس في العطاء، ويأخذ كأحدهم»**[1].

٣ـ أن يكون ناصراً لله تعالى:

«وأن ينصر الله سبحانه بقلبه ويده ولسانه، فإنه جلّ أسمه قد تكفل بنصر من نصره وإعزاز من أعزه»[2].

يؤكد الإمام (عليه السلام) إنّ على الراعي أنْ (ينصر الله سبحانه بقلبه ويده ولسانه) فالقلب يحيا بذكر الله

(١) محسن الأمين، أعيان الشيعة، ١/ ٣٤٨.

(٢) شرح نهج البلاغة، ١٧/ ٣٠.

لقول الله تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللّهِ أَلاَ بِذِكْرِ اللّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾(١).

وأهمية القلب تكمن في كونه المتصرف في الإنسان ومنه يكتسب الاستقامة أو سواها فقد قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «أَلا إِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلُحَتْ صَلُحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ أَلا وَهِيَ الْقَلْبُ»(٢). وقد تعهد الله تعالى نصر من نَصَرَه في قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾(٣).

وهذا وعد من الله تعالى والله لا يخلف وعده. وقد بين الله تعالى صفات من يستحقون النصر؛ فقال: ﴿وَلَيَنْصُرَنَّ اللّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ* الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا

(١) الرعد: ٢٨.

(٢) البخاري، محمد بن اسماعيل (ت٢٥٦هـ) صحيح البخاري، تحقيق: محمد زهير بن ناصر، دار طوق النجاة، ط١-١٤٢٢هـ، كتاب الإيمان، ح ٥٢، ١/ ٢٠.

(٣) محمد: ٧.

عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾[1].

وفي نصر الله تعالى صلاح الراعي كما جاء في قول الراغب:» والنصر من الله معونة الأنبياء والأولياء وصالحي العباد بما يؤدي إلى صلاحهم عاجلاً أو آجلاً وذلك تارة يكون من خارج بمنٍ يقيضه الله فيعيّنه وتارة من داخل بأن يقوي قلب الأنبياء أو الأولياء أو يلقي الرعب في قلوب الأعداء»[2]

٤ـ أن يكون قامعاً شهوته عن الحرام:

«وأمره أن يكسر نفسه من الشهوات ويزعها عند الجمحات، فإن النفس أمارة بالسوء إلا ما رحم الله»[3].

يعد اجتناب محارم الله تعالى ركناً من أركان العقل، فقد قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «**اجْتَنِبْ مَحَارِمَ**

(١) الحج: ٤٠، ٤١.

(٢) اللحجي، عبد الله بن سعيد محمد (ت١٤١٠هـ) منتهى السؤل، جدة، دار المنهاج ٤/ ٤٤٢.

(٣) شرح نهج البلاغة، ١٧/ ٣٠.

اللهَّ وَأَدِّ فَرَائِضَ اللهَّ تَكُنْ عَاقِلا»[1]، وكان الإمامُ عليٌّ (عليه السلام) حريصاً على تربية أتباعه على الكفّ عن المحارم فمن وصية له لإبنه الحسن (عليهما السلام): «..**ولاورع كالكف عن محارم الله**»[2].

«**وشح بنفسك عما لا يحل لك**»، الإنسان مجبول على حب الشهوات: ﴿**زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاء وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ**﴾[3].

ولكن الإمام علي (عليه السلام) يريد من عامله أنْ يكون ضنيناً بنفسه لا يعطيها لمفاتن الدنيا بلا حساب

(١) الهيثمي، نور الدين علي بن سليمان (ت ٨٠٧هـ) بغية الباحث عن زوائد مسند الحارث، تحقيق: حسين احمد صالح، السعودية، الجامعة الإسلامية، ط١-١٩٩٢م، ح ٨٢٩، ٢/ ٨٠٩.

(٢) القبانجي، السيد حسن، مسند الامام علي (عليه السلام)، تحقيق: طاهر السلامي، بيروت، مؤسسة الأعلمي، ط١- ٢٠٠٠م، ٤/ ٤٧٥.

(٣) آل عمران:١٤.

ولا حدود، وذلك بترويضها، والتضييق عليها فيما تحب من الحلال، حتى يتمكن منها وتنقاد اليه فيما ينهاها عن الحرام. وقد رسم الإمام علي (عليه السلام) منهجًا لترويض النفس فقال: «**وَايْمُ اللهِ ـ يَمِيناً أَسْتَثْنِي فِيهَا بِمَشِيئَةِ اللهِ عَزَّوَجَلّ ـ لأَرُوِّضَنَّ نَفْسِي رِيَاضَةً تَهَشُّ مَعَهَا إِلَى الْقُرْصِ إِذَا قَدَرتْ عَلَيْهِ مَطْعُوماً، وَتَقْنَعُ بِالْمِلْحِ مَأْدُوماً) وَلأَدَعَنَّ مُقْلَتِي كَعَيْنِ مَاء، نَضَبَ مَعِينُهَا، مُسْتَفْرِغَةً دُمُوعَهَا**»[1].

إنّ من أصعب ما يُبتلى الانسان به هو ابتلاؤه بنفسه ويتحدد مستقبل الإنسان في دنياه أو في الآخرة على مدى نجاحه في هذا الامتحان. فقد قال تعالى: ﴿**وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى**﴾[2].

وقد اعتبر النبي (صلى الله عليه وآله) منازعة النفس هواها هو الجهاد الأكبر فقد روي عن علي بن أبي طالب (عليه السلام): «إنّ رسول الله (صلى الله

(١) صبحي الصالح، نهج البلاغة، ص٤١٩.

(٢) النازعات: ٤٠.

عليه وآله) بعث سريّة، فلمّا رجعوا، قال: مرحباً بقوم قضوا الجهاد الأصغر وبقي عليهم الجهاد الأكبر، قيل: يا رسول الله وما الجهاد الأكبر؟ فقال: جهاد النفس، ثمّ قال (صلى الله عليه وآله): «افضل الجهاد من جاهد نفسه بين جنبيه»»[1].

وفي حديث للإمام علي (عليه السلام) يقول: «**أشجع الناس من غلب هواه**»[2].

ويرى (عليه السلام): «أنّ صلاح النفس مجاهدة الهوى»[3] ويحذر من شهوات النفس ويعتبرها مفتاحاً لمعصية الله تعالى فيقول: «**مَا مِنْ مَعْصِيَةِ الله شَيءٌ إلاَّ يَأْتِي فِي شَهْوَةٍ. فَرَحِمَ اللهُ رَجُلاً نَزَعَ عَنْ شَهْوَتِهِ، وَقَمَعَ هَوَى نَفْسِهِ، فَإنَّ هذِهِ النَّفْسَ أَبْعَدُ شَيْءٍ مَنْزِعاً، وَإنَّهَا لاَ**

(١) الحر العاملي (ت١١٠٤هـ) وسائل الشيعة، تحقيق: مؤسسة آل البيت، قم، مؤسسة آل البيت، ط٢، ١٤١٤هـ، ح ٢٠٢١٦، ١٥/ ١٣٥.

(٢) الصدوق (ت٣٨١هـ) معاني الأخبار تصحيح: علي اكبر الغفاري أقم - مؤسسة النشر الإسلامي أ١٣٧٩هـ أ ص١٩٥

(٣) الريشهري، محمد، ميزان الحكمة، قم، دار الحديث، ط١، ١٤٢٢هـ، ح ٢٠٥٠٣، ١٠/ ٤٣٩٩.

تَـزَالُ تَنْـزِعُ إِلَى مَعْصِيَـةٍ فِي هَـوىً»[١]. وكـسر النفـس عـن الشـهوات هـي دعـوة الى التعفـف «إذ مـن المسـتحيل أن يكـون عفيفـاً متى استرسـل مع شـهواته»[٢] ويعـرف ضبـط النفـس ومنعهـا مـن الاسترسـال وراء رغباتهـا عنـد فلاسـفة الأخـلاق بـ (الاعتـدال) وعـرف أرسـطو الاعتـدال بأنـه: «الوسـط القيـم في كل مايتعلـق باللـذّات»[٣] في حـين إنّ عـدم الاعتـدال يعنـي: «افراطـاً في اللـذات وأنَّـه مذمـوم»[٤].

ويـرى الإمـام عـلي (عليـه السـلام) في التقـوى ترويضـاً للنفـس عـلى كبـح الشـهوات والوصـول إلى ضفـة الأمـان؛ فتحـدث عـن نفسـه قائـلاً: «**وَإِنَّمَا هِيَ نَفْسِي أَرُوضُهَا بِالتَّقْوَى لِتَأْتِيَ آمِنَةً يَوْمَ الْخَوْفِ الاَكْبَرِ، وَتَثْبُتَ عَلَى جَوَانِبِ الْمَزْلَقِ**»[٥]

(١) صبحي الصالح، نهج البلاغة، خ ١٧٦، ص٢٥١.

(٢) الفكيكي، توفيق، الراعي والرعية، بغداد، مطبعة اسد، ١٩٦٢م، ص٦٢.

(٣) ارسـطوطاليس، علـم الاخـلاق، نقلـه الى العربيـة: أحمـد لطفـي السـيد، القاهـرة، دار الكتـب المصريـة، ١٩٢٤م، ص٣١٦.

(٤) م. ن أص٣٢١

(٥) صبحي الصالح، خ ٤٥، ص٤١٧.

٥ـ أن يكون مانعاً نفسه عن المعاصي:

«فليكن أحب الذخائر اليك العمل الصالح». يؤكد الإمام علي (عليه السلام) في صلاح الراعي على العمل الصالح ويوصي مالكاً بان يكون أحب ما يكتنزه في حياته، لان العمل الصالح إذا اجتمع مع الإيمان في شخص نفذ حب ذلك الشخص إلى قلوب الناس وحظي بالقبول في أوساط رعيته إن كان راعيا، لقوله تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدّاً**﴾[١].

وخير من جسد الإيمان المقرون بالعمل الصالح هو الإمام علي (عليه السلام) ولذلك يذهب المفسرون إلى أنّ هذه الآية قد نزلت بحقه[٢].

وبين (عليه السلام) مقومات العمل الصالح للإنسان قائلاً:

---

(١) مريم: ٩٦.

(٢) ينظر: التستري، نور الله الحسيني المرعشي (ت١٠١٩م) أحقاق الحق وازهاق الباطل ٣/ ٨٥.

«فاملك هواك». وفي اللغة: «الهَوى مقصوراً: هَوَى النَّفْس، وإِذا أَضفته إِليك قلت هَوايَ، والهَوى: العِشْق يكون في مداخل الخير والشر، والهَوِيُّ: المَهْوِيُّ، وهَوى النفسِ: إِرادتها والجمع الأَهْواء»[1].

وقال الراغب: «الهوى: ميل النفس إلى الشهوة، ويقال ذلك للنفس المائلة إلى الشهوة وقيل: سمي بذلك؛ لأنه يهوي بصاحبه في الدنيا إلى كل داهية وفي الآخرة إلى الهاوية، والهوي: سقوط من علو إلى سفل»[2].

في الاصطلاح: الهوى «ميلان النفس إلى ما تستلذه من الشهوات من غير داعية الشر»[3]. أما المراد باتباع الهوى في الاصطلاح الشرعي «فهو السير وراء ما تهوى النفس وتشتهي أو النزول على حكم العاطفة من غير

(١) لسان العرب، مادة: هـ و ى/ ٥١/ ٤٧٢٨.

(٢) الراغب، أبو القاسم الحسين بن محمد (ت٥٠٢هـ) المفردات في غريب القرآن، تحقيق: محمد سيد كيلاني، بيروت، دار المعرفة، ص ٥٤٨.

(٣) لتعريفات، علي بن محمد بن علي الجرجاني، ١ / ٣٢٠، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ، تحقيق: إبراهيم الأبياري.

تحكيم العقل أو الرجوع إلى شرع أو تقدير لعاقبة»[1].

والهوى واحد من أهم نوازع الإنسان الداخلية التي تلعب دوراً كبيراً في إفساد حياة الإنسان فتكون حائلاً بينه وبين الهداية. ولايعني نهي الإسلام الإنسان عن اتباع الهوى، أنه أراد حرمانه من التمتع بالملذات أو منعه من إشباع غرائزه؛ فـ «الناس أبناء الدنيا ولا يلام الرجل على حب أمه»[2]. وإنما أراد له أنْ يمتلك إرادته في التحكم برغباته وميوله حتى يستطيع توجيهها في الطريق السليم دون أن يطلق لها العنان فتصبح مدمرة بدل أن تكون نافعة له وللجميع وقد أشار الله تعالى لما يترتب على اتباع الهوى فقال تعالى: ﴿**وَلَوِ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ**..﴾[3].

وتحكّم الإنسان في هواه يؤكد لديه صفة الإنسانية لأن الذي يَملِكَهُ هواه لايختلف عن الحيوان لقوله

(١) محمد نوح، آفات على الطريق١/ ١٩٢.

(٢) صبحي الصالح، نهج البلاغة، ص٥٢٩.

(٣) المؤمنون: ٧١.

تعالى: ﴿أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلاً * أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلاً﴾[1].

فالهوى حجاب بين المرء والواقع ومن يملكه هواه لا يرى الأمور إلا بما يتناسب مع رغباته وإنْ كان ذلك يخالف الواقع وبذلك فإنّه يغيب عقل الإنسان ويفسده بإبعاده عن الواقع. وقد بين الامام علي (عليه السلام) دور الهوى في تغييب العقل في مناسبات عدة فقال: «**العقل صاحب جيش الرحمن والهوى قائد جيش الشيطان والنفس متجاذبة بينهما فايهما غلب كانت في حيزه**»[2] و «سبب فساد العقل الهوى»[3] ويبين (عليه السلام) أثر الهوى على العقل فيقول: «**لاعقل مع**

(١) الفرقان: ٤٣، ٤٤.

(٢) الآمدي، ناصح الدين أبو الفتح عبد الوحد (ت٥٥٠هـ) غُرَر الحِكَم ودُرَر الكَلِم، تدقيق: عبد الحسن دهيني، بيروت، دار الهادي، ط١- ١٩٩٢م، ص٤٨.

(٣) م. ن. ص٢٢٦.

هـوى»[1].

فاتبـاع الراعـي هـواه يعنـي وجـود والٍ يديـر الأمـور بغـير عقـل. ويربـط الإمـام (عليـه السـلام) بـين العـدل وعوامـل النفـس كالهـوى والعاطفـة فيقـول: «**أمـا بعـد فـإن الـوالي إذا اختلـف هـواه منعـه ذلـك كثيراً مـن العـدل فليكـن أمـر النـاس عنـدك في الحـق سـواءاً، فإنّـه ليـس في الجـور عـوض عـن العـدل فاجتنـب مـا تنكـر أمثالـه**»[2].

وكان أكثـر مـا يخشـاه الإمـام عـلي (عليـه السـلام) اتبـاع الانسـان هـواه فقـد قـال: «**إنّ اخـوف مـا أخـاف عليكـم إثنـان، اتبـاع الهـوى وطـول الأمـل، فأمـا اتبـاع الهـوى فيصـد عـن الحـق**»[3].

واتبـاع الهـوى يعمـي البصـيرة وهـو واحـد مـن المهلـكات التـي أشـار إليهـا رسـول الله (صـلى الله عليـه والـه) بقولـه: «**ثـلاث مهلـكات: شـحٌّ مطـاع وهـوى متبـع**

(١) م. ن. ص٤٣٠.

(٢) صبحي الصالح، نهج البلاغة، ص٤٤٩.

(٣) شرح النهج، ١/ ٢١٨.

واعجاب المرء بنفسه» وقد أشار الله تعالى إلى خطورة اهواء النفس بقوله تعالى: ﴿**أَفَمَن كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِ كَمَن زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءهُمْ**﴾[1].

مما تقدم فإنَّ الإمام عليّاً (عليه السلام) أراد أن يربي ولاته على الفضيلة وأن يعمل كل واحد منهم لخدمة رعيته، أن يكونوا أحراراً لاتستعبدهم الشهوات، ولايتحكم فيهم الهوى فينحرفوا عن جادة الحق وأن يخلصوا العبادة لله وحده مع أنه لم يطلب منهم ترك الدنيا وإنما أمرهم أن يأخذوها برفق بالطريقة التي تجمعها بالآخرة. وقد ضرب لهم من نفسه أُنموذجاً مع علمه أنّ أحداً لايستطيع أن يبلغ مبلغه حتى وإن كان من أصحابه فقال يحثهم على الاقتداء به: «**أَلاَ وَإِنَّ إِمَامَكُمْ قَدِ اكْتَفَى مِنْ دُنْيَاهُ بِطِمْرَيْهِ، وَمِنْ طُعْمِهِ بِقُرْصَيْهِ. أَلاَ وَإِنَّكُمْ لاَ تَقْدِرُونَ عَلَى ذلِكَ، وَلكِنْ أَعِينُونِي بِوَرَع وَاجْتِهَاد، وَعِفَّة وَسَدَاد فَوَالله مَا كَنَزْتُ مِنْ دُنْيَاكُمْ تِبْراً، وَلاَ ادَّخَرْتُ مِنْ غَنَائِمِهَا وَفْراً، وَلاَ أَعْدَدْتُ لِبَالِي ثَوْبِي طِمْراً**»[2].

(١) محمد: ١٤.

(٢) صبحي الصالح، نهج البلاغة، ص٤١٧.

المبحث الثاني: إصلاح الرعية

الإصلاح لغةً:

«إصلاح مشتق من الفعل أصْلَحَ صَلَّحَ صَلُحَ... والإِصلاح نقيض الإِفساد... وأَصْلَح الشيءَ بعد فساده أَقامه»[١] وأَصْلَحه: «ضِدّ أَفْسَدَه وقد أَصْلَحَ الشْيِّءَ بعدَ فَساده»[٢] وفي معجم مقاييس اللغة: «استَصلَحَ الشيء ضِدَّ استَفْسَدَ»[٣] وجاء في مختار الصحاح: «أصلَحَ: أعادَ شيئاً إلى حالة حسنة وأزال ما فيه من فساد»[٤]. والإصلاح هو الإتيان بالصلاح كما قال صاحب المصباح المنير: « أَصْلَحَ: أتى بالصَلاح وهو

(١) لسان العرب، ٢٧/ ٢٤٧٩.

(٢) تاج العروس، ٦/ ٥٤٨.

(٣) معجم مقاييس اللغة، ص٣٠٣.

(٤) مختار الصحاح، ص٣٧.

الخير والصواب «[1].

يتبين مما سبق ذكره من تعريفات (للإصلاح) أنه يعني من الناحية اللغوية إزالة الفساد.

الإصلاح اصطلاحاً:

يختلف معنى الإصلاح باختلاف مورد مادة (أَصْلَحَ) في القرآن الكريم؛ فقد ذَكَرَتْ التفاسير تعريفات للإصلاح حسب المقام الذي ذُكِرتْ فيه، فورد بمعانٍ عدة، منها: محو التباغض بين المتخاصِمين:

من ذلك قوله تعالى: ﴿**وَلاَ تَجْعَلُواْ اللّهَ عُرْضَةً لِّأَيْمَانِكُمْ أَن تَبَرُّواْ وَتَتَّقُواْ وَتُصْلِحُواْ بَيْنَ النَّاسِ وَاللّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ**﴾[2].

وما يقابل الفساد كما في قوله تعالى: ﴿**وَلاَ تُفْسِدُواْ فِي الأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاَحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفاً وَطَمَعاً إِنَّ رَحْمَتَ**

(١) الفيومي، أحمد بن محمد بن علي المقري (ت٧٧٠هـ) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، مصر، مكتبة محمد عبد الواحد بك، ط١، ١٣٢٢هـ، ص١٣٢.

(٢) البقرة: ٢٢٤.

اللهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ﴾[1].

وقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا أَلْقَوْاْ قَالَ مُوسَى مَا جِئْتُم بِهِ السِّحْرُ إِنَّ الله سَيُبْطِلُهُ إِنَّ الله لاَ يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ﴾[2].

ومايقابل السيئة كقوله تعالى: ﴿وَآخَرُونَ اعْتَرَفُواْ بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُواْ عَمَلاً صَالِحاً وَآخَرَ سَيِّئاً عَسَى الله أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ الله غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[3].

وتوفيق الله لعباده لعمل الصَّالحات من ذلك قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا الله وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً﴾[4]، وقوله: ﴿سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ﴾[5].

كما عرَّفه صاحب مجالس التذكير بأنه: «إرجاع الشيء إلى حالة اعتداله بإزالة ماطرأ عليه من فساد»[6]

(١) الأعراف: ٥٦.

(٢) يونس: ٨١.

(٣) التوبة: ١٠٢ .

(٤) الأحزاب: ٧١.

(٥) محمد: ٥

(٦) ابن باديس، عبد الحميد محمد الصنهاجي (ت١٣٥٩هـ) في

وفي روح المعاني: «انه الإستقامة على التوبة أ ولعله مُندرِجٌ على التوبة ومكمل لها»[1].

يتبين من التعريفات السابقة ان اللغويين عرفوا الإصلاح بنقيضه على قاعدة تعريف الشيء بضده كما في قول المتنبي[2]:

«وَنَذِيْمُهم وبِهم عرفنا فَضْلَهُ

وَبِضِدِّها تتميَّزُ الأشياء»

وفي الوقت الذي لا يحتاج فيه الإفساد إلى مجهود كبير وكثرة في التفكير؛ فإن الإصلاح يتطلب جهدا كبيرا وتفكيراً عميقاً وإعداداً يعتمد على حجم الإصلاح المراد إجراءه. وبناءً على ذلك فإنّ سهولة الإفساد يقابلها صعوبة الإصلاح.

مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير، تحقيق: احمد شمس الدين، بيروت، دار الكتب العلمية، ط١-١٤١٦هـ، ص٧٣.

(١) روح المعاني ٧/ ٤٨٢.

(٢) البرقوقي، عبد الرحمن (ت ١٩٤٤هـ) شرح ديوان المتنبي، القاهرة، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، ص١١٩.

والصلاح والإصلاح يشتركان بإزالة الفساد وكلاهما يحقق للإنسان مرضاة الله تعالى، والصلاح يعني تحقيق الاستقامة في ذات الشخص، في حين إنّ الإصلاح يتعدى صلاح نفسه إلى غيره إذ إن الهمزة فيه للتعدية إلى مفعول واحد والأصل صَلُحَ اللازم. ويمكن القول: لا إصلاح بدون صلاح، وبدون العودة إلى الذات وبدون تغيير ما بالنفوس فقد قال تعالى: ﴿**إِنَّ اللهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنْفُسِهِمْ**﴾[1]

الرعية:

تعريف الرعية لغة: «أصل الرعي حفظ الحيوان إما بغذائه الحافظ لحياته أو بجذب العدو عنه ثم جعل للحفظ والسياسة كما في قوله تعالى: ﴿**فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا**﴾[2].

أي ما حافظوا عليها حق المحافظة»[3] والرعية:

(١) الرعد: ١١.

(٢) الحديد: ٢٧.

(٣) تاج العروس ٢٨/ ١٦٥.

«العامة»[1] وفي المصباح المنير الرعية: «عامة الناس الذين عليهم راع يدير أمرهم ويرعى مصالحهم»[2] الرعي يعني: «حفظ الغير لمصلحة»[3]

ومن ذلك فإن الرعية «كل من شمله حفظ الراعي ونظره»[4]. فالناس راع وهو السائس ومرعي وهو المسوس.

وبعد أنْ تعرفنا على منهج الإمام علي (عليه السلام) في الوصول بـ (الراعي) إلى مستوى الصلاح نعرّج على الطرف الثاني في العملية الإدارية وهم (الرعية) فقد كان الإمام علي (عليه السلام) يسعى لبناء مجتمع متكامل يرتقي إلى مستويات متقدمة من الرفاهية والنزاهة والأمان بتطبيق الصيغة الإسلامية الصحيحة وهو في اهتمامه بالرعية إنما يستمد ذلك من

(١) مختار ص ١٢٨؛ لسان العرب ١٧/ ١٦٧.

(٢) المصباح المنير ص٣٥٦.

(٣) الكليات ص٤٨٤.

(٤) لسان العرب ١٧/ ١٦٧٨.

رسول الله (صلى الله عليه وآله) حيث يضع الاهتمام بالناس بمستوى إداء الفرائض فيقول: «أمرني ربي بمداراة الناس كما أمرني بأداء الفرائض»[1].

وقد كان منهج الإمام علي (عليه السلام) في إصلاح الرعية يقوم على ثنائية (الواجبات والحقوق) أي تعريف رعيته بما عليهم من واجبات وبيان مالهم من حقوق على رعاتهم ضمن دائرة الشرع وفي إطار مصلحة الوطن والمواطن فيقول (عليه السلام): «أيَّها الناس إنّ لي عليكم حقاً، ولكم عليَّ حق، فأما حقكم علي النصيحة لكم وتوفير فيئكم وكفايتكم فليس من حق الحاكم أنْ ينام ليلته وفي وطنه معوز واحد، وعلي تعليمكم كي لا تجهلوا، أمّا حقي عليكم الطاعة حين آمركم والوفاء لي ولوطنكم»[2].

ومن الجدير بالذكر في هذا الموقف، إنّ الإمام علياً

(١) الكافي: الكليني، محمد بن يعقوب (ت٣٢٩ هـ) أصول الكافي، بيروت، منشورات الفجر، ط١-٢٠٠٧م، ٢ / ١١٧.

(٢) شرح نهج البلاغة، ٢/ ١٨٩ -١٩٠.

(عليه السلام) قد سبق وبقرون عديدة الأمم التي ما فتئت تكيل الاتهام للإسلام، وتصفه بالتخلف التي تبهرنا بحضارتها، فهي لم تكن تعي دور الرعية في الإصلاح فعلى سبيل المثل لا الحصر يقول غوستاف لوبون (١٨٤١ م - ١٩٣١م)[١] إنّ الجماعة (الرعية) لم تكن صاحبة الدور الفاعل في رسم الأحداث التاريخية «ولم يكن لرأي الجموع وزن يُذكر بل لم يكن له قيمة في الغالب»[٢] ويعزو رسم الأحداث إلى مايدور بين ملوكها ولكن مع تطور الزمن تبدل الأمر؛ فصارت «الغلبة لصوت الجماعات فهو الذي يرسم للملوك خططهم»[٣] مما يشير إلى فهم متأخر لدور الرعية في إحداث الإصلاح، في حين أن ماورد في عهد الامام

(١) هو طبيب ومؤرخ فرنسي، عمل في أوروبا وآسيا وشمال أفريقيا، كتب في علم الآثار وعلم الانثروبولوجيا، وعني بالحضارة الشرقية. من أشهر آثاره: حضارة العرب وحضارات الهند.

(٢) لوبون، غوستاف (ت ١٩٣١م) روح الاجتماع، ترجمة:أحمد فتحي زغلول، مصر-دار الجماهير، ١٩٠٩م، ص ١٢.

(٣) م.ن.

علي (عليه السلام) يؤكد على أهمية دور الرعية في صناعة الأحداث فأولاه اهتماماً وقد كان منهجه (عليه السلام) في إصلاح الرعية يتوزع على محاور عدة منها:

أولاً: علاقة الراعي بالرعية

في هذا الميدان قد خصص الإمام علي (عليه السلام) الجزء الأكبر من عهده إلى الأشتر (رضي الله عنه) بما أشتمل عليه من أوامر ونصائح لرسم العلاقة بين الراعي والرعية بما يضمن إصلاح الرعية ومنها:

١ـ حسن التعامل:

تدرج الإمام علي (عليه السلام) في صلاح الراعي مبتدئاً بترتيب علاقة الراعي بالله تعالى ثم علاقته بنفسه لينتهي به إلى ترتيب علاقته برعيته، والتعامل مع الرعية أمرٌ في غاية الأهمية؛ لأنه مهمة وواجب الراعي، وتكمن أهميته في أنّ الرعية تشمل جميع البشر ضمن حدود رعايته وقد يكون منهم المسلم وغير المسلم، وكل من هؤلاء يحتاج معاملة حسب مقتضى الحال. ويأتي في مقدمة ما يجب أنْ يتحلى به الراعي هو حسن

التعامل حيث وصف الله تعالى رسوله الكريم (صلى الله عليه واله) في قوله تعالى: ﴿**فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِّ إِنَّ اللهَّ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ**﴾[1].

وتأتي الرأفة والرحمة في مقدمة حسن التعامل حيث قال تعالى: ﴿**لَقَدْ جَاءكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ**﴾[2].

كذلك كان الإمام علي (عليه السلام) وهو ابن مدرسة رسول الله (صلى الله عليه وآله) يتعامل مع رعيته على أساس من الرحمة والأخوة؛ فاذا كانت الرعية تخشى ظلم حكامها فإنْ الإمام علي (عليه السلام) على غير ذلك، إذ كان هو من يخشى أن يَظلمَ رعيته كما عبر عن ذلك في خطبته قائلا: «**وَلَقَدْ أَصْبَحَتِ الْأُمَمُ تَخَافُ**

(١) آل عمران: ١٥٩.

(٢) التوبة: ١٢٨.

ظُلْمَ رُعَاتِهَا وَأَصْبَحْتُ أَخَافُ ظُلْمَ رَعِيَّتِي»[1].

وفي هذا الإطار كانت وصاياه لولاته وعماله؛ ففي عهده لمحمد بن أبي بكر حين ولاه مصر يوصيه: **«فَاخْفِضْ لَهُمْ جَنَاحَكَ وَأَلِنْ لَهُمْ جَانِبَكَ وَابْسُطْ لَهُمْ وَجْهَكَ وَآسِ بَيْنَهُمْ فِي اللَّحْظَةِ وَالنَّظْرَةِ حَتَّى لا يَطْمَعَ الْعُظَمَاءُ فِي حَيْفِكَ لَهُمْ وَلا يَيْأَسَ الضُّعَفَاءُ مِنْ عَدْلِكَ عَلَيْهِمْ»**[2]، والإمام علي (عليه السلام) وهو يستمد مفهوم السلطة من المفهوم القرآني والنبوي، نجده يدفع الكثير من توجيهاته ونصائحه في كيفية التعامل مع الرعية مؤكداً على أنَّ: «حسن السياسة يستديم الرياسة»[3] وأنَّ: «رأس السياسة استعمال الرفق»[4].

(١) صبحي الصالح، نهج البلاغة خطبة ٩٧، ص١٤١.

(٢) م. ن. ص، ٣٨٣.

(٣) الريشهري، محمد، ميزان الحكمة، قم، دار الحديث، ط١، ١٤٢٢ هـ، ٤/ ١٨٣٨.

(٤) الواسطي،كافي الدين أبي الحسن (ق٦هـ) عيون الحكم والمواعظ تحقيق: حسين الحسني، قم، دار الحديث، ط١، د. ت، ص٢٦٣.

وكما أنَّ: «حسن السياسة قوام الرعية»[1]؛ فإنَّ: «مَنْ حَسُنَتْ سياستُه وجبت إطاعته»[2].

ولم يقتصر بوصيته لمالك الاشتر (رضي الله عنه): «وأشعر قلبك الرحمة للرعية والمحبة لهم واللطف بهم، ولا تكونن عليهم سبعا ضاريا تغتنم أكلهم، فإنهم صنفان: إما أخ لك في الدين وإما نظير لك في الخلق يفرط منهم الزلل، وتعرض لهم العلل، ويؤتى على أيديهم في العمد والخطأ»[3]. بالرحمة لأهل مصر فقط وإنما أراد هذه الرحمة أنْ تفيض على الإنسانية جميعا منطلقا (عليه السلام) من وحدة الخلق فهو خير من يعلم بما يريد الله تعالى في قوله: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ**﴾[4].

(١) م. ن. ص٢٢٧.

(٢) غرر الحكم، ص٣٤١.

(٣) شرح النهج، ١٧/ ٣٢.

(٤) الحجرات: ١٣.

ومـا يعنيـه رسـول الله (صـلى الله عليـه وآلـه) حـين يقـول: «**يـا أَيُّهـا النَّـاس: إنَّ رَبَكُـم وَاحِـد، و إنَّ أَبَاكُـم وَاحِـد، ألا لا فَضْـلَ لِعَـرَبي عَـلى عجمـي ولا عَجمِـي عَـلى عَـرَبي، و لا لأحمَـر عـلى أسـوَد و لا لأسـوَد عـلى أحمَـر إلا بالتَّقـوى**»[1] و«**أَنْتُـمْ بَنُـو آدَمَ وَآدَمُ مِـنْ تُـرَابٍ**»[2].

وبنـاءاً عـلى ذلـك كان النـاس مـن وجهـة نظـر الإمـام عـلي (عليـه السـلام) صنفـين: «**إِمَّـا أَخٌ لَـكَ فِي الدِّيـنِ، وَإِمَّـا نَظِـيرٌ لَـكَ فِي الْخَلْـقِ**»[3]، ومـن منظـار المسـاواة ولكـي يضمـن التعايـش بـين الراعـي ورعيتـه لم يكتـف (عليـه السـلام) مـن الراعـي بـأن يتصـف بالرحمـة والمحبـة وإنـما أمـره بالتجـاوز عـن الخطـأ والزلـل؛ فقـد يخطـأ الإنسـان

(١) الغديـر، ٦/ ٢٢٥، الألبـاني، أبـو عبـد الحمـن محمـد نـاصر الديـن (ت١٤٢٠هـ) سلسـلة الاحاديـث الصحيحـة، الريـاض، مكتبـة المعارف، ط١، ١٩٩٦م، ح ٣٧٠٠، ٦/ ٤٤٩.

(٢) أبـو داود، سـليمان بـن الأشـعث (ت٢٧٥هـ) سـنن أبي داود، تحقيـق: محمـد محيـي الديـن عبـد الحميـد، بـيروت، المكتبـة العصريـة، ح ٥١١٦، ٤/ ٣٣١.

(٣) شرح نهج البلاغة، ١٧/ ٣٠.

والخطأ صفة ملازمة له على حد قول رسول الله (صلى الله عليه وآله): «**كُلُّ بَنِي آدَمَ خَطَّاءٌ، وَخَيْرُ الْخَطَّائِينَ التَّوَّابُونَ**»[1] فلابد من الصفح عن المسيء والعفو عن المخطئ والتماس العذر لهم فإنَّ: «**أَعْرَفَ النَّاسِ بِاللهِ أَعْذَرُهُمْ لِلنَّاسِ وَإِنْ لَمْ يَجِدْ لَهُمْ عُذْرَاً**»[2] وفي مقابل ذلك فإنَّ: «شر الناس من لا يقبل العذر ولايقيل الذنب»[3] وإن من النتائج المترتبة على الإحسان تسهيل مهمة الوالي كما جاء في قول الإمام علي (عليه السلام): «**أَحْسِنَ إِلَى الْمُسِيءِ تَمْلِكُهُ**»[4].

وهكذا فقد وضع (عليه السلام) أساسا رسم فيه طريقا واضحة المعالم بعيدة عن اللبس في العلاقة بين الراعي والرعية.

(١) ابن ماجة، أبو عبد الله محمد بن يزيد (ت٢٧٣هـ) سنن ابن ماجة، تحقيق: محمد فؤآد عبد الباقي، بيروت، دار احياء الكتب العربية، ح ٤٢٥١، ٢/ ١٤٢٠.

(٢) غرر الحكم رقم ٢٤٢، ص١١١.

(٣) غرر الحكم، ص٢٣٤.

(٤) غرر الحكم رقم٤٢، ص ٧٦.

٢ـ خيلاء السلطة:

ثم ينتهي (عليه السلام) الى ما يصيب الراعي من خيلاء الغرور جراء امتيازات السلطة فيأمره بان يتذكر سلطة الله تعالى وعظم ملكه وقدرته الواسعة. «وإذا أحدث لك ما أنت فيه من سلطانك أبهة أو مخيلة فانظر إلى عظم ملك الله فوقك وقدرته منك على ما لا تقدر عليه من نفسك، فإن ذلك يطامن إليك من طماحك، ويكف عنك من غربك، ويفيء إليك بما عزب عنك من عقلك إياك ومساماة الله في عظمته والتشبه به في جبروته، فإن الله يذل كل جبار ويهين كل مختال»[1].

ولعل أوضح صورة لعدالة السلطة هو التواضع وتعد السلطة من بين دواعي الغرور القوية؛ لأنها تبعث في نفوس المتسلطين الزهو والغرور فيتيهون على الناس تكبرا وإذلالا وأنجع علاجٍ لهذه الظاهرة كما يراه الإمام علي (عليه السلام) هو العودة إلى الله تعالى والتفكر في عظمته كي يعرف الوالي قدر نفسه و يدرك

(١) شرح النهج، ١٧ / ٣٣.

أنّ ما يختال به من جاه منحته إياه السلطة انما هو نعمة من الله تعالى أنعم به عليه.

ونجد من المفيد أن نقارن بين سلطة رسم معالمها الإمام علي (عليه السلام)مستمدة من القرآن الكريم وتعاليم الرسالة الإسلامية وبين سلطة رسمت معالمها الفلسفات الحديثة التي تستند إلى الواقع كما يقول أصحابها وكيفية تعاملها مع الجماهير (الرعية) ففي الوقت الذي يأمر فيه الإمام علي (عليه السلام) الأشتر (رضي الله عنه): «**ولاتَكُونَنَّ عَلَيهِم سَبُعاً ضارِياً تَغْتَنِمَ أُكُلَهُم**»[1]؛ فإنّ ميكافيلي ينصح أميره أن «يتصرف كالحيوان فهو يقلد الثعلب والأسد»[2]. كما ينصحه بالتظاهر بالصفات الطيبة «أن يبدو رحيماً وفياً حلو الصفات صادقاً، متديناً»[3] أمام من يراه ويسمعه ويؤكد ميكافيلي على التظاهر بالتدين فيقول: «وهذه الصفة

(١) م. ن.

(٢) ميكافيلي، كتاب الأمير، ترجمة: أكرم مؤمن، مكتبة ابن سينا، ص٨٩ .

(٣) م. ن. ص٩٠.

الأخيرة ضرورية جداً لأن الناس يحكمون على مايرونه بأعينهم وليس على مايدركونه... وفي كافة أعمال البشر -وخاصة الأمراء - فإنَّ الغاية تُبَرِّر الوسيلة»[1] حيث صور مكيافيلى سلطة الأمير بأنها منقطعة الصلة عن أى قواعد أخلاقية وأطلق مبدأ (الغاية تبرر الوسيلة) ورأى أن السلطة دائما قاسية وغاشمة وظالمة ومستَغِلَّة وأن هذا من حقها ولو لم تفعل ذلك لاستضعفتها الجماهير وسحقتها. وعبر هذه المقارنة يصبح بالإمكان أنْ نحكمَ على أيِّ سلطة وخاصة تلك التي توصف بالاسلامية على أي المنهجين تحكم.

٣ـ حلم الراعي :

ومن صلاح الراعي في تعامله مع الرعية أن لا يكون سريع الغضب شديد البطش بل أن يكون حليماً حكيماًولذلك يأمر الإمام علي (عليه السلام) مالكاً (رضي الله عنه) قائلا: «**أَملك حمية أنفك وسورة حدك،**

(١) م. ن. ص٩١.

وسَـطْوَة يَـدِكَ وَغـرب لِسَـانكَ»[1]؛ فالغضـب الخـارج عـن سيطرة النفس يـؤدي إلى الهلكـة وقـد حـذر مـن هـذه النهايـة فقـال: «إنكـم إنْ أطعتـم سـورة الغضـب أوردتـم نهايـة العطـب»[2] وعـلى الإنسـان بشـكل عـام والراعـي بصـورة خاصـة أنْ يتحـرس ممـا يـؤدي بـه الى الغضـب وأنْ يتجنـب الانفعـال ذلـك «**أَنَّ الْغَضَـبَ مِـن الشَّـيْطَانِ وَأَنَّ الشَّـيْطَانَ خُلِـقَ مِـنْ النَّـارِ وَإِنَّـمَا تُطْفَـأُ النَّـارُ بِالْمَـاءِ فَـإِذَا غَضِـبَ أَحَدُكُـمْ فَلْيَتَوَضَّـأْ**»[3] والغضـب يعنـي فقـدان العقـل؛ لأنَّ «مـن لم يملـك غضبـه لم يملـك عقلـه»[4].

ولذلـك فـإن رسـول الله (صـلى الله عليـه وآلـه) ينصـح مـن يغلبـه الغضـب أن يرجـع إلى الله تعـالى فيقـول: «**فـإذا غضبـت فأُقعـد وتفكـر في قـدرة الـرب عـلى العبـاد وحلمـه عنهـم، وإذا قيـل لـك إتـق الله فانبـذ غضبـك وراجـع**

(١) شرح النهج، ١٧/ ١١٣.
(٢) غرر الحكم، رقم ١٦ ص١٤٩.
(٣) سنن أبي داوود، ح ٤٧٨٤، ٤/ ٢٤٩.
(٤) ميزان الحكمة، ٢/ ٥٠١.

حلمك»[1].

ولم يترك الإمام علي (عليه السلام) أمر الغضب دون أنْ يضعَ له حلولاً تتضمن علاجه ومما وَصّى به الإمام علي (عليه السلام) قائلا: «**داووا الغضب بالصمت والشهوة بالعقل**»[2]. وإذا ما تناولنا الغضب من زاوية السلطة فإنّ «أعظم الناس سلطاناً على نفسه من قمع غضبه وآفات شهوته»[3]. ومن زاوية القوة فإنّ الإنسان القوي ليس الذي يمتلك القوة الجسدية وإنّما يمتلك القوة في السيطرة على نفسه عند انفجار غضبه كما قال رسول الله (صلى الله عليه واله): «**لَيْسَ الشَّدِيدُ بِالصُّرْعَةِ، إِنَّمَا الشَّدِيدُ الَّذِي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الْغَضَبِ**»[4].

(١) تحف العقول، ص١٤

(٢) غرر الحكم، رقم ١٣ ص٢٠٤.

(٣) ميزان الحكمة، ٢/ ١٥٠

(٤) البخاري، محمد بن إسماعيل (ت٢٥٦هـ) صحيح البخاري تحقيق: محمد زهير بن ناصر، ط١، ١٤٢٢هـ، ح ٦١١٤، ٨/ ٢٨؛ مسلم بن الحجاج (ت٢٦١هـ)، صحيح مسلم، تحقيق: محمد فؤآد

ثانياً: علاقات الرعية مع بعضها (طبقات الرعية)

ورِث الإمام علي (عليه السلام) تركة ثقيلة من خلافة عثمان التي وإن حاول المودودي ان يجَمِّلها لكنه وصفها بأنها سياسة «غير مريحة للناس»[١] وما أن بويع (عليه السلام) بالخلافة حتى أعلن عن هدفه من قبولها قائلاً: «**اللَّهُمَّ إِنَّكَ تَعْلَمُ أَنَّهُ لَمْ يَكُنِ الَّذِي كَانَ مِنَّا مُنَافَسَةً فِي سُلْطَانٍ وَلَا الْتِمَاسَ شَيْءٍ مِنْ فُضُولِ الْحُطَامِ وَلَكِنْ لِنَرِدَ الْمَعَالِمَ مِنْ دِينِكَ وَنُظْهِرَ الْإِصْلَاحَ فِي بِلَادِكَ فَيَأْمَنَ الْمَظْلُومُونَ مِنْ عِبَادِكَ وَتُقَامَ الْمُعَطَّلَةُ مِنْ حُدُودِكَ**»[٢].

ومن المعالجات التي وضعها الإمام علي (عليه السلام) لتطبيق منهجه الإصلاحي أنَّه وضع هيكلاً صنَّف فيه الرعية إلى طبقات وبين أهمية كل طبقة وكيفية التعامل معها بما يصلحها؛ فقد جاء في عهده لمالك

عبد الباقي، بيروت، دار احياء التراث العربي، ح ٢٦٠٩، ٤/ ٢٠١٤.

(١) المودودي، أبو الأعلى، الخلافة والملك، تعريب: أحمد المدرس، الكويت، دار القلم، ط١، ١٩٧٨م، ص٦٩.

(٢) صبحي الصالح، نهج البلاغة، ص١٨٩.

الأشتر (رضي الله عنه): «**واعلَم أنَّ الرَّعية طَبَقات لا يَصلُحُ بَعضَها إلا بِبعضٍ، ولا غِنى بِبعضِها عَن بَعضٍ. فَمِنْها جُنودُ الله، ومِنْها كِتابُ العَامَّة والخاصَّة، ومِنْها قُضاةُ العَدْل، ومِنْها عُمّالُ الإنْصاف والرفق، ومنها أهل الجزية والخراج من أهل الذمة ومسلمة الناس، ومنها التجار وأهل الصناعات، ومنها الطبقة السفلى من ذوي الحاجة والمسكنة**»[1].

إنّ هذا التقسيم لايعني تمييز طبقة على حساب طبقة أ فالطبقات في كلام الإمام علي بمعنى «فئات اجتماعية، ولم تكن في ذلك الحين قد تضمنت معناها الذي تعنيه الآن»[2].وإنّما هو تقسيم لغرض التعامل مع كل طبقة بما يناسبها ويتفق مع حاجتها للإصلاح لأنَّ مايصلح لطبقة قد لايصلح للأُخرى ولم يكن ترتيب الطبقات الذي ورد في عهد الإمام علي (عليه السلام) لمالك الأشتر (رضي الله عنه) على أساس

(١) شرح نهج البلاغة، ١٧/ ٤٨.

(٢) شمس الدين، محمد مهدي، دراسات في نهج البلاغة، بيروت، دار الزهراء، ط٢- ١٩٧٢م، ص٢٩.

قيمتها الاجتماعية وإنما كان على أساس أهمية الخدمة التي تقدمها للمجتمع.

وفي دراسته لموضوع الطبقات في عهد الإمام علي (عليه السلام) يقسم محمد مهدي شمس الدين الطبقات الى مجموعتين:

المجموعة الأولى:

طبقات افترض الإمام علي (عليه السلام) وجودها وتحدث عنها كأهل الخراج والتجار والصناع والمعدمين.

١ ـ أهل الخراج:

كان الإمام علي (عليه السلام) يَحمل عماله على ممارسة الحكم الذي يقوم من أجل الرعية. فيتحدث عن أهمية أهل الخراج والمراد بهم (الزُرّاع)؛ ذلك لأن الخراج هو ضريبة الأرض ومصدر التمويل الرئيس إنْ لم يكن المصدر الوحيد الذي يُمول احتياجات الدولة المالية سواء أكانت كانت رواتب الجند أم إعانة

أصحاب الحاجة من بقية المجتمع[1].

وكان اقتصاد مصر آنذاك يقوم على القطاع الزراعي مما يعني أنّ ازدهار النشاط الاقتصادي يتوقف على طبقة (اهل الخراج) ولذلك يؤكد الإمام علي (عليه السلام) على الاهتمام بالخراج بما يصلح أهله فيقول لمالك (رضي الله عنه): «**وَتَفَقَّدْ أَمْرَ الْخَرَاجِ بِمَا يُصْلِحُ أَهْلَهُ فَإِنَّ فِي صَلَاحِهِ وَصَلَاحِهِمْ صَلَاحاً لِمَنْ سِوَاهُمْ وَلَا صَلَاحَ لِمَنْ سِوَاهُمْ إِلَّا بِهِمْ لِأَنَّ النَّاسَ كُلَّهُمْ عِيَالٌ عَلَى الْخَرَاجِ وَأَهْلِهِ**»[2].

إنّ سياسة الإمام علي (عليه السلام) في الخراج تهدف إلى إصلاح الزراعه بالشكل الذي يقود إلى إصلاح طبقات المجتمع الأخرى.

وكان (عليه السلام) يكتب إلى أمراء الأجناد فيقول: «**أنشدكم الله في فلاحي الأرض أنْ يظلموا**

(١) يُنظر: م. ن.

(٢) شرح نهج البلاغة، ١٧/ ٧٠

قبلكم»[1] فإصلاح أهل الخَراج (الزراع) يعتمد على مقدار مايؤخذ منهم كخراج ومن ثَمَّ فإن صلاح الرعيه يعتمد على صلاح أهل الخراج لأن «**النَّاسَ كُلَّهُمْ عِيَالٌ عَلَى الْخَرَاجِ وَأَهْلِهِ**»[2].

حتى جباية الخراج كان الامام علي (عليه السلام) يراعي فيها صلاح الرعية فيؤكد على جباة الخراج قائلا: «إذا قدمت عليهم فلا تبيعن لهم كسوة شتاء ولا صيفا ولا رزقا يأكلونه ولا دابة يعملون عليها ولا تضربن أحدا منهم سوطا واحدا في درهم ولا تقمه على رجله في طلب درهم ولا تبع لأحد منهم عرضا في شيء من الخراج فإنا إنما أمرنا أن نأخذ منهم العفو»[3]. ولم يكتف (عليه السلام) بالوصية وإنما يتبعها بتذكير الجباة بمخافة الله ثم يهددهم بالعزل إن لم ينفذوا ماأمرهم به :

(١) الحميري، عبد الله بن جعفر القمي (ت٣٠٠هـ) قرب الاسناد، تحقيق: مؤسسة آل البيت، قم، مهر، ط١، ١٤١٣ هـ،ص١٣٨.

(٢) شرح نهج البلاغة، ١٧/ ٧٠

(٣) أبو يوسف، يعقوب بن إبراهيم (ت١٨٣هـ) كتاب الخراج، بيروت، دار المعرفة، ١٩٧٩م، ص١٦.

«فَإِنْ أَنْتَ خَالَفْتَ مَا أَمَرْتُكَ بِهِ يَأْخُذُكَ اللهُ بِهِ دُونِي وَإِنْ بَلَغَنِي عَنْكَ خِلافَ ذَلِكَ عَزَلْتُكَ...»[1].

٢ـ التجار والصنّاع

ثم ينتقل (عليه السلام) إلى فئة التجار وهي طبقة مهمة من طبقات المجتمع لها أثرها الكبير على المجتمع كله، وأيُّ اضطراب يصيب هذه الطبقة ينعكس على استقرار المجتمع؛ لأنها هي التي تتحكم بتوفير السلع وحركتها بين الناس، فإذا ماصلحت هذه الطبقة صلحت أحوال الرعية، ويكمل عمل التجار طبقة الصناع فالتجارة والصناعة على علاقة مهمة ببعضهما وفي صلاحهما يترفه المجتمع ولأهمية هاتين الطبقتين يوصي بهما (عليه السلام) فيقول لمالك (رضي الله عنه) : «ثم استوصِ بالتجار وذوي الصناعات وأوصِ بهم خيراً»[2].

والإمام علي (عليه السلام) يقسم التجار على

(١) م. ن.

(٢) شرح نهج البلاغة، ١٧/ ٨٣.

قسمين: تاجر مقيم في بلده، وآخر متنقل بين البلدان، ومع أنّه (عليه السلام) يصفهم بقوله: «سلم لا تخاف بائقته، وصلح لا تخشى غائلته»[1]؛ لكنه يُحَذِّر من خطر هذه الفئة فيما لو أصابها الإنحراف؛ لأن انحرافها يؤدي إلى اضطراب أمر الرعية سواء أفي التحكم بعرض السلعة واحتكارها أم التلاعب بأسعار السلع، والموازين والمكاييل فيقول: «واعلم مع ذلك أن في كثير منهم ضيقا فاحشا، وشحا قبيحا، واحتكارا للمنافع، وتحكما في البياعات، وذلك باب مضرّة للعامّة، وعيب على الولاة»[2]؛ فيوجهه إلى كيفية التعامل مع هذا الانحراف كي تصلح الأمور قائلاً: «**فَامْنَعْ مِنَ الِاحْتِكَارِ فَإِنَّ رَسُولَ اللهِّ (صلى الله عليه وآله وسلم) مَنَعَ مِنْهُ وَلْيَكُنِ الْبَيْعُ بَيْعاً سَمْحاً بِمَوَازِينِ عَدْلٍ وَأَسْعَارٍ لَا تُجْحِفُ بِالْفَرِيقَيْنِ مِنَ الْبَائِعِ وَالْمُبْتَاعِ**»[3]. ويأمره بمحاسبة من

(١) بن حمدون، محمد بن الحسن بن محمد بن علي (ت ٥٦٢هـ) التذكرة الحمدونية، بيروت، دار صادر، ط١، ١٤١٧هـ، ١/ ٣٢٣.

(٢) م. ن.

(٣) شرح شرح نهج البلاغة، ١٧/ ٨٣.

يخالف ذلك فيقول: «**فَمَنْ قَارَفَ حُكْرَةً بَعْدَ نَهْيِكَ إِيَّاهُ فَنَكِّلْ بِهِ وَعَاقِبْهُ فِي غَيْرِ إِسْرَافٍ**»(١).

هكذا كان الإمام علي (عليه السلام) يتعامل مع عناصر اقتصاد الأمة، ويهيِّيء كل السبل التي تجعل هذه العناصر في خدمة الرعية.

٣ـ الطَّبَقَةُ السُفْلَى مِنْ ذَوِي الْحَاجَةِ والْمَسْكَنَةِ

حظيت هذه الطبقة باهتمام الإمام علي (عليه السلام) أكثر من غيرها من طبقات المجتمع الأخرى، لأنها تشكل القسم الأكبر من الرعية لا في عهد الإمام علي (رضي الله عنه)؛ فحسب وإنما في كل زمان ومكان. وكانت وصيته للأشتر(رضي الله عنه) : «**الله الله فِي الطَّبَقَةِ السُّفْلَى**»(٢) وقد وَصَفَ من يقع تحت عنوان هذه الطبقة بـ «الذين لاحيلة لهم»(٣) وعرَّفهم قائلًا:

(١) م. ن.

(٢) شرح نهج البلاغة، ١٧/ ٨٥.

(٣) م. ن .

«مِنَ الْمَسَاكِينِ والْمُحْتَاجِينَ وأَهْلِ الْبُؤْسَ والزَّمْنَ؛ فَإِنَّ فِي هَذِهِ الطَّبَقَةِ قَانِعاً ومُعْتَرّاً»[١].

ويؤكد الإمام علي (عليه السلام) على الولاة مباشرة هذه الطبقة بأنفسهم، وعلى الوالي أنْ يتولى بنفسه تنفيذ ما يترتب لها من حقوق في مختلف المجالات، فعلى المستوى المعاشي بين مصادر تخصيصاتهم المالية **«وأجْعَلْ لَهُمْ قِسْماً مِنْ بَيْتِ مَالِكِ، وقِسْماً مِنْ غَلاتِ صَوَافِي الإسْلامِ فِي كُلِّ بَلَدٍ»**[٢]، ولم يكتفِ بالجانب الإقتصادي وإنما أهتم بالجانب المعنوي فقد أمَرَ واليه أن يخصص جزءاً من وقته يتفرغ فيه لهم شخصياً للإلتقاء بهم والجلوس معهم مذكراً إياه أنّ مايقوم به هو من باب التواضع لله **«واجْعَلْ لِذَوِي الْحَاجَاتِ مِنْكَ قِسْماً تُفَرِّغُ لَهُمْ فِيهِ شَخْصَكَ، وتَجْلِسُ لَهُمْ مَجْلِساً عَامّاً فَتَتَوَاضَعُ فِيهِ لله الَّذِي خَلَقَكَ»**[٣].

(١) م. ن.

(٢) م. ن.

(٣) شرح نهج البلاغة، ص٨٧

لاشك أنَّ معاملة الإمام علي (عليه السلام) لهذه الطبقة بهذه المعاملة يُعَدُّ بمثابة إصلاح لها. فقد جنبها الكفر لقول رسول الله (صلى الله عليه وآله): «**كاد الفقر ان يكون كفراً**»[1] وعندما يكون الفقر «أشدَّ من القَتْل»[2] وإنّ «القبر خير من الفقر»[3] فإنّه يتحول إلى عامل يؤدي إلى الانحراف وقد شَخَّصَ الإمام علي (عليه السلام) ماينتج عن الفقر من خصال فقال: «من ابتلي بالفقر فقد ابتلي بأربع خصال، بالضعف في يقينه والنقصان في عقله والدقة في دينه وقلة الحياء في وجهه فنعوذ بالله من الفقر»[4] وإنّ من يحمل هذه الصفات لايكون بمقدوره أنْ «يكون فاضلا، وإنّ من اللغو أنّ يوعظ بالوعد والوعيد والترغيب والترهيب، وإنّ

(١) المتقي الهندي، علاء الدين علي (ت٩٧٥ه) كنز العمال، تصحيح: صفوة السقا، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط٥، ١٩٨٥، ح ١٦٦٨٢، ٦/ ٤٩٢.

(٢) ميزان الحكمة، ح ١٥٩٩١، ٨/ ٣٢٢٩.

(٣) م.ن، ح ١٥٩٩٣، ٨/ ٣٢٢٩

(٤) القبانجي، مصدر سابق، ٩/ ٣٠٨.

إنسانا كهذا ينقلب كافرا بالقيم والفضائل. وإنّ معدته الخاوية وجسده المعذب ومجتمعه الكافر بإنسانيته المتنكر له وشعوره بالاستغلال وميسم الضعة الذي يلاحقه أنى كان،هذه كلها تجعله لصّاً وسفاحاً وعدوًا للإنسانية التي لم تعترف له بحقه في الحياة الكريمة»[1]. وعلى ضوء ماتقدم، علينا أن نتصور مجتمعاً تتصاعد فيه نسب الفقر كم سيكون مستوى الانحراف فيه؟.

المجموعة الثانية:

طبقات لم يفترض وجودها إنما تكلم (عليه السلام) في كيفية إنشائها وتكوينها، وهي: الجند، وكتّاب العامة والخاصة، وقضاة العدل، وعمال الإنصاف والرفق. وهذه المجموعة هي التي تدير المجتمع وتشرف على تصريف شؤونه ومن ثم يتعلق بها مصير المجتمع، ولكونها إرثاً من الحكم السابق، فهي تعاني من الفساد لذلك أولاها الإمام علي (عليه السلام) اهتماماً لإعادة

(١) محمد مهدي شمس الدين، مصدر سابق، ص٣٩٠.

بنائها من جديد.[1] ولذلك وضع الإمام علي (عليه السلام) منهاجاً متكاملاً في تغيير بنية كل طبقة منها.

١ ـ الجنود:

ولأهمية دور الجند في حماية أمن البلاد في الداخل والخارج «فالجنود بإذن الله حصون الرعية، وزين الولاة، وعز الدين، وسبل الأمن، وليس تقوم الرعية إلا بهم»[2]، فقد أعاد الإمام بناء المؤسسة العسكرية مؤكداً على أهمية الولاء لله تعالى ورسوله (صلى الله عليه وآله) والإمام (عليه السلام) كما جاء في أمره لمالك (رضي الله عنه): «فولّ من جنودك أنصحهم في نفسك لله ولرسوله ولإمامك»[3] وينتقل إلى المؤهلات الشخصية للجندي والتي تنعكس آثارها على الرعية فيختار: «أنقاهم جيباً، وأفضلهم حلماً، ممن يبطئ عن الغضب، ويستريح إلى العذر، ويرأف بالضعفاء

(١) يُنظر: م. ن،ص٥٧.

(٢) شرح نهج البلاغة، ١٧/ ٤٩.

(٣) شرح نهج البلاغة، ١٧/ ٥١.

وينبو على الأقوياء. وممن لا يثيره العنف ولا يقعد به الضعف»[1]. ثم يضع معايير تزكيته في تربيته ونشأته: «ثم الصق بذوي الأحساب وأهل البيوتات الصالحة والسوابق الحسنة»[2]. وبعد أنْ يطمئن (عليه السلام) إلى صلاح الجندي بما يحقق مصلحة الرعية يضع المواصفات التي تتطلبها الجندية حيث يرى الإمام علي (عليه السلام) أنّ الجندي يجب أن يكون من «أهل النجدة والشجاعة والسخاء والسماحة، فإنهم جماع من الكرم، وشعب من العرف»[3].

٢ـ كتّاب العامة والخاصة:

وهم الموظفون في جهاز الدولة الذين يتولون كتابة مايصدر عن الولاة من توجيهات وأوامر وقرارات تتعلق بأمور الدولة والرعية ولأهمية هذه الفئة في كونها حلقة الوصل بين الراعي والرعية فقد أولاها (عليه

(١) م. ن

(٢) م. ن

(٣) م. ن.

السلام) أهمية أكد فيها على اختيار الأصلح «ثم أنظر في حال كتابك فولِّ على أمورك خيرهم، واخصص رسائلك التي تدخل فيها مكائدك وأسرارك بأجمعهم لوجود صالح الأخلاق»[1].

وإصلاح هذه الفئة يقوم على: الإختيار السليم ممن يُشهَد له بالتجربة وتكنُّ له الرعية احتراماً وله أثر في الأُمة حسن «ثم لا يكن اختيارك إياهم على فراستك واستنامتك وحسن الظن منك، فإن الرجال يتعرفون لفراسات الولاة بتصنعهم وحسن خدمتهم، وليس وراء ذلك من النصيحة والأمانة شيء. ولكن اختبرهم بما ولوا للصالحين قبلك، فاعمد لأحسنهم كان في العامة أثراً، وأعرفهم بالأمانة وجهاً»[2]، أي إنّ اختيارهم يجب أنْ لايخضع للرغبات الشخصية، وهنا يؤكد الإمام علي (عليه السلام) على مبدأ الرجل المناسب في المكان المناسب، وبذلك يكون قد اجتث أهم أدوات الفساد

(١) م. ن. ص ٧٥.

(٢) م. ن.

الإداري، والإجتماعي المتمثلة بالمحسوبية والوساطة، لإقامة مجتمع صالح خال من واقع الفساد الإداري، الذي تعاني منه المجتمعات بسبب سوء إدارة التوظيف.

٣ـ طبقة القضاة:

فإن الإمام علياً (عليه السلام) عندما يتحدث عنها، إنما يتحدث بصفته اقضى المسلمين لقول رسول الله (صلى الله عليه وآله) مخاطباً أصحابه: «أقضاكم علي»[١]، وفي قول آخر «أقضى أمتي علي»[٢]. و «عن عمر: أقضانا علي»[٣] وفي كلام للإمام الباقر (عليه السلام) يصف قضاء الإمام علي(عليه السلام): «ليس

(١) السخاوي، محمد عبد الرحمن (ت٩٠٢هـ) المقاصد الحسنة، تحقيق: محمد عثمان الخشن، بيروت، دار الكتاب العربي، ط١، ١٩٥٨م، ح ١٤٢، ص١٣٤.

(٢) م.ن. ص ١٣٥.

(٣) ابن شبة، عمر بن شبة بن عبيدة (ت ٢٦٢هـ) تاريخ المدينة، تحقيق: فهيم محمد شلتوت، ١٣٩٩هـ، ٢/ ٧٠٦؛ ابن حجر، أحمد بن علي (ت٨٥٢هـ) فتح الباري، ترقيم: محمد فؤاد عبد الباقي، المكتبة السلفية، ٨/ ٦٧.

أحد يقضي بقضاء يصيب في الحق إلّا مفتاحه قضاء علي». وفي اختياره للقضاة يؤكد (عليه السلام) على المزايا الخلقية الكريمة التي يجب أن يتحلى بها القاضي فيأمر مالك الأشتر (رضي الله عنه) قائلاً: «ثم اختر للحكم بين الناس أفضل رعيتك في نفسك ممن لا تضيق به الأمور، ولا تمحكه الخصوم، ولا يتمادى في الزلة، ولا يحصر من الفيء إلى الحق إذا عرفه، ولا تشرف نفسه على طمع، ولا يكتفي بأدنى فهم دون أقصاه، وأوقفهم في الشبهات، وآخذهم بالحجج، وأقلهم تبرما بمراجعة الخصم، وأصبرهم على تكشف الأمور، وأصرمهم عند اتضاح الحكم. ممن لا يزدهيه إطراء ولا يستميله إغراء. وأولئك قليل»[1].

ولم يكتف الإمام (عليه السلام) بخُلِق القاضي بل أراد أن يحمي حُسن سير القضاء وضمان حقوق الخصوم وهم من الرعية وعدم الإضرار بهم من خلال نزاهة القاضي بحمايته من نفسه والتي قد تدفعه إلى

(١) شرح نهج البلاغة، ١٧/ ٥٨

التعسف باستعمال سلطته؛ فوضع له امتيازاتٍ وحقوقاً تجنبه ذلك فيقول (عليه السلام): «**ثم أكثر تعاهد قضائه، وافسح له في البذل ما يزيل علته وتقل معه حاجته إلى الناس، وأعطه من المنزلة لديك ما لا يطمع فيه غيره من خاصتك ليأمن بذلك اغتيال الرجال له عندك. فانظر في ذلك نظراً بليغاً**»[1]. ثم يعود الإمام علي (عليه السلام) ليذكر بالإنحراف الذي أصاب مسيرة الأمة الإسلامية في عهد من سبقه مما أوجب الإصلاح فيقول في إشارة إلى قضاة عثمان وولاته حيث كانوا لايقضون بالحق بل يتحكم فيهم الهوى : «**فإن هذا الدين قد كان أسيراً في أيدي الأشرار يُعمل فيه بالهوى، وتُطلب به الدنيا**»[2].

فإصلاح القضاء هو الطريق لإصلاح البلاد من الفساد.

(١) م.ن.، ١٧/ ٥٩.

(٢) م. ن.، ١٧/ ٦٠.

٤ـ طبقة الولاة:

فما أن تسلم زمام الأمور حتى بادر إلى إعفاء ولاة عثمان على أقاليم الدولة حتى أنّه رفض إقتراح إبقاء معاوية على الشام إلى أن يستقر له الحكم ثم ينحيه فيما بعد، وكان سبب التغيير هو سوء سيرة ولاة عثمان؛ لأنه عينهم بغير وجه حق؛ فكانوا فيما ارتكبوه من ظلم للرعية وعدم درايتهم بالسياسة وأصول الحكم، من بين أهم أسباب ثورة الأمصار عليه التي انتهت بمقتله، الأمر الذي دعا الإمام علياً (عليه السلام) أن يبدأ مشروعه الإصلاحي بتغييرهم معللاً ذلك بقوله: «... **وَلَكِنَّنِي آسَى أَنْ يَلِيَ أَمْرَ هَذِهِ الأُمَّةِ سُفَهَاؤُهَا وَفُجَّارُهَا، فَيَتَّخِذُوا مَالَ اللهِ دُوَلاً، وعِبَادَهُ خَوَلاً، وَالصَّالِحِينَ حَرْباً، وَالْفَاسِقِينَ حِزْباً؛ فَإِنَّ مِنْهُمُ الَّذِي قَدْ شَرِبَ فِيكُمُ الْحَرَامَ، وَجُلِدَ حَدّاً فِي الإِسْلامِ، وَإِنَّ مِنْهُمْ مَنْ لَمْ يُسْلِمْ حَتَّى رُضِخَتْ لَهُ عَلَى الإِسْلامِ الرَّضَائِخُ**»[1].

(١) صبحي الصالح، نهج البلاغة ـ الرسالة ٦٢، ص٤٥٢.

حتى ابن تيمية لم يستطع أنْ يخفي مثالب خلافة عثمان وخاصة في تقريبه لعشيرته فيقول: «ونحن لا ننكر أنّ عثمان - رضي الله عنه - كان يحب بني أمية، وكان يواليهم ويعطيهم أموالا كثيرة»[١].

وكان منهج الإمام علي (عليه السلام) في عملية تغيير الولاة كما جاء في عهده لمالك الاشتر (رضي الله عنه): «**استعملهم اختباراً ثمّ تفقّد أعمالهم وأبعث العيون من أهل الصدق والوفاء عليهم**»[٢] وكان (عليه السلام) شديداً في محاسبتهم، فقد كتب إلى زياد بن أبيه: «**وإنّي أُقسم بالله قسماً صادقاً، لئن بلغني أنّك خنت من فيء المسلمين شيئاً صغيراً أو كبيراً، لأشدنّ عليك شدّة تدعك قليل الوفر، ثقيل الظهر، ضئيل الأمر**»[٣].

وقد بين الإمام علي (عليه السلام) أثر الوالي على إصلاح الرعية في قوله: «وقد علمتم أنه لا ينبغي أن

(١) ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم، منهاج السنة النبوية، تحقيق: محمد رشاد سالم، ط١، ١٩٨٦م، ٦/ ٣٥٦.

(٢) شرح نهج البلاغة، ١٧ / ٦٨.

(٣) صبحي الصالح، نهج البلاغة، ص ٣٧٧.

يكون الوالي على الفروج، والدماء، والمغانم، والأحكام وإمامة المسلمين البخيل، فتكون في أموالهم نهمته، ولا الجاهل فيضلهم بجهله، ولا الجافي فيقطعهم بجفائه، ولا الحائف للدول فيتخذ قوما دون قوم، ولا المرتشي في الحكم فيذهب بالحقوق ويقف بها دون المقاطع، ولا المعطل للسنة فيُهلك الأمة»[1].

وكان (عليه السلام) يرى أنه «لا يقيم أمر الله سبحانه إلا من لا يصانع ولا يضارع ولا يتبع المطامع»[2].

ولم يقف عند الاختبار بل كان (عليه السلام) يُمعن في مراقبة ولاته ففي كتابه إلى مالك بن كعب: «أخرج في طائفة من أصحابك حتّى تمرّ بأرض كورة السواد[3]، فتسأل عن عمّالي، وتنظر في سيرتهم فيما بين

(١) م. ن. ص. ١٨٩.

(٢) م. ن. ص ٤٨٨.

(٣) السواد: أراضي وقرى العراق وضياعها، سمّي بذلك لسواده بالزروع والنخيل والأشجار، معجم البلدان ٣ / ٢٧٢.

دجلة والعذيب[1]، ثمّ ارجع إلى البهقباذات[2] فتولّ معونتها، واعمل بطاعة الله فيما ولاّك منها. واعلم أنّ كلّ عمل ابن آدم محفوظ عليه مجزيّ به، فاصنع خيراً صنع الله بنا وبك خيراً، وأعلمني الصدق فيما صنعت. والسلام»[3].

(١) العذيب: ماء لبني تميم، وهو أوّل ماء يلقاه الإنسان بالبادية إذا سار من قادسية الكوفة يريد مكّة (تقويم البلدان ٧٩)

(٢) بهقباذ: من أعمال سقي الفرات (معجم البلدان ١ / ٥١٦)

(٣) اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب (ت٢٨٤هـ) تاريخ اليعقوبي، تحقيق: عبد الأمير مهنا، بيروت، شركة الأعلمي، ط١، ٢٠١٠م، ٢/ ١٠٩.

الخاتمة:

تعد العلاقة السليمة بين الراعي والرعية، القائمة على معيار القرب من الله سبحانه وتعالى، من أفضل أساليب الإدارة التي ترتقي بالأمة إلى افضل مستويات الحياة.

وإنّ معيار الإمام علي (عليه السلام) في هذا المجال كانت قائمة على ثنائية الراعي والرعية فليست تصلح الرعية إلا بصلاح الولاة، ولا تصلح الولاة إلا باستقامة الرعية.

ولذا أكد الإمام علي (عليه السلام) في عهده لمالك الأشتر (رضي الله عنه) على اختيار الراعي ممن تتحقق فيه الموالاة والإخلاص، ووضع له برنامجاً لتقويم شخصه أساسه التقوى ورضا الله، ثم بين له ما يتوجب

عليه القيام به لتستقيم له الرعية، مُعزِزاً ذلك برقابة دائمة تضمن سلامة التنفيذ وتصحح المسار في الوقت المناسب ثم العقوبة لمن يتمادى في الخطأ، والعزل عن الوظيفة.

وفيما يتعلق بالرعية فإنّه (عليه السلام) يؤكد على (استقامة الرعية) وتتحقق هذه الاستقامة عبر تثقيف يرتكز على بيان ما للرعية من حقوق على الدولة وما عليها من واجبات. ولا يتحقق الإصلاح برفع الشعارات وإنَّما أساس نجاح عملية الإصلاح هو أن يمتلك (الرعاة) روح المبادرة والتصدي وأن يقرن القول بالفعل.

وما أحوجنا اليوم ونحن نعاني من أزمات في مختلف الميادين ولاسيما الاجتماعية الناجمة عن الخلل الإداري إنْ نرجع إلى فكر الإمام علي (عليه السلام) وأنْ نتبناه عملاً قبل القول كي نستطيع أنْ نعيد الأمور إلى نصابها. وفي عهد الإمام (عليه السلام) لمالك (رضي الله عنه) ما يكفي لتحقيق ذلك.

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم

١ - أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفى: ٣٩٥هـ) معجم مقاييس اللغة , تحقيق: عبد السلام محمد هارون , بيروت - دار الفكر , ١٩٧٩م.

٢ - أرسطوطاليس، علم الاخلاق، نقله إلى العربية: أحمد لطفي السيد، القاهرة – دار الكتب المصرية، ١٩٢٤م.

٣ - الألباني، أبو عبد الحمن محمد ناصر الدين (ت١٤٢٠هـ) سلسلة الاحاديث الصحيحة، الرياض – مكتبة المعارف، ط١ – ١٩٩٦م.

٤ - الآمدي، ناصح الدين أبو الفتح عبد الوحد (ت٥٥٠هـ) غُرَر الحِكَم ودُرَر الكَلِم، تدقيق: عبد الحسن دهيني، بيروت – دار الهادي، ط١- ١٩٩٢م.

٥ - الأمين، محسن، أعيان الشيعة، تحقيق حسن الأمين، بيروت – دار التعارف، ١٩٨٣م

٦ - الأميني، عبد الحسين أحمد، الغدير في الكتاب والسنة والأدب، بيروت- الاعلمي، ط١- ١٩٩٤م.

٧ – ابن باديس، عبد الحميد محمد الصنهاجي (ت١٣٥٩هـ) في مجالس التذكيرمن كلام الحكيم الخبير، تحقيق: أحمد شمس الدين، بيروت – دار الكتب العلمية، ط١-١٤١٦هـ.

٨ - البحراني، السيد هاشم (ت١١٠٩هـ)، بغية المرام وحجة الخصام، تحقيق: علي عاشور، بيروت – مؤسسة التاريخ العربي، ط١-٢٠٠١م.

٩ - البخاري، محمد بن إسماعيل (ت٢٥٦هـ) صحيح البخاري، تحقيق: محمد زهير بن ناصر، دار طوق النجاة، ط١-١٤٢٢هـ.

١٠ - البرقوقي، عبد الرحمن (ت ١٩٤٤هـ) شرح ديوان المتنبي، القاهرة – مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة.

١١ - أبوالبقاء، أيوب بن موسى الحسيني (ت ١٠٩٤هـ) الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، تحقيق: عدنان درويش - محمد المصري، بيروت - مؤسسة الرسالة.

١٢ - البلاذري، أحمد بن يحيى (ت٢٧٩ه)، أنساب الأشراف، تحقيق: سهيل زكار ورياض زركلي، بيروت، دار الفكر، ط١-١٩٩٦م.

١٣ - الترمذي، محمد بن عيسى (ت٢٧٩ه) سنن الترمذي، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون، مصر – مصطفى البابي الحلبي، ط٢-١٩٧٥م.

١٤ - التستري، نور الله الحسيني المرعشي (ت١٠١٩م)إحقاق الحق وإزهاق الباطل.

١٥ - التهانوي، محمد بن علي ابن القاضي محمد (ت بعد ١١٥٨هـ) موسوعة كشاف اصطلاحات

الفنـون والعلـوم، تحقيـق: علـي دحـروج، بيـروت - مكتبـة لبنـان ناشـرون، ط١ – ١٩٩٦م.

١٦ – ابـن تيميـة، أحمـد بـن عبـد الحليـم، منهـاج السـنة النبويـة، تحقيـق: محمـد رشـاد سـالم , ط١ – ١٩٨٦م.

١٧ - الثعلبـي، أبـو اسـحق أحمـد (ت٤٢٧هـ) الكشـف والبيـان، تحقيـق: محمـد بـن عاشـور، بيـروت – دار إحيـاء التـراث العربـي، ط١- ٢٠٠٢م.

١٨ - الثقفـي، أبـو إسـحاق إبراهيـم بـن محمـد (ت ٢٨٣هـ)الغـارات، تحقيـق: عبـد الزهـراء الحسـيني، بيـروت – دار الأضـواء، ط١ – ١٩٨٧م.

١٩ - الجرجانـي، علـي بـن محمـد (ت٨١٦هـ) معجـم التعريفـات , تحقيـق: محمـد صديـق المنشـاوي , القاهـرة – دار الفضيلـة.

٢٠ - الجوهـري، إسـماعيل بـن حمـاد (ت٣٩٣هـ) تاج اللغـة وصحـاح العربيـة، تحقيـق: أحمـد عبـد غفـور عطـار، بيـروت – دار العلـم للملايين، ط٢ – ١٩٧٩م.

٢١ - الإصابـة فـي تمييـز الصحابـة، ابـن حجـر،

أحمد بن علي العسقلاني (ت٨٥٢هـ)، بيروت- المكتبة العصرية، ط١-١٤٣٣هـ.

٢٢ - فتح الباري، ترقيم: محمد فؤاد عبد الباقي، المكتبة السلفية.

٢٣ – ابن أبي الحديد، عز الدين عبد الحميد بن هبة الله (ت ٦٥٦هـ) شرح نهج البلاغة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، بيروت – دار إحياء الكتب العربية، ط٢ – ١٩٦٥م.

٢٤ - الحر العاملي، محمد بن الحسن (ت١١٠٤هـ) وسائل الشيعة، تحقيق: مؤسسة آل البيت، قم – مطبعة - مهر، ط٢ – ١٤١٤هـ.

٢٥ – العلامة الحلي، الحسن بن يوسف بن المطهر (ت٧٢٦هـ) خلاصة الأقوال، تحقيق: جواد القيومي، قم – نشر الفقاهة، ط٤ – ١٤٣١هـ.

٢٦ – ابن حمدون , محمد بن الحسن بن محمد بن علي (ت ٥٦٢هـ) التذكرة الحمدونية , بيروت – دار صادر , ط١ – ١٤١٧هـ.

٢٧ - الحميري، عبد الله بن جعفر القمي (ت٣٠٠هـ) قرب الإسناد، تحقيق: مؤسسة آل البيت، قم – مهر، ط١ – ١٤١٣ هـ.

٢٨ – ابن حوقل، كتاب صورة الأرض، بيروت: مكتبة الحياة، ١٩٩٢.

٢٩ – ابن خلدون، عبد الرحمن (ت٨٠٨هـ) تاريخ ابن خلدون، بيروت: دار الفكر، ٢٠٠٠.

٣٠ - أبو داود، سليمان بن الأشعث (ت٢٧٥هـ) سنن أبي داود، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، بيروت – المكتبة العصرية.

٣١ - الدبيسي، محمد، التقوى في القرآن الكريم، القاهرة – دار المحدثين، ط١ - ٢٠٠٨م.

٣٢ - الدينوري، أبو حنيفة أحمد بن داود (ت ٢٨٢هـ) الأخبار الطوال، تحقيق: عبد المنعم عامر، القاهرة – دار إحياء الكتاب العربي، ط١-١٩٦٠م.

٣٣ - الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد (ت٧٤٨هـ) سير إعلام النبلاء، تحقيق: شعيب الارنؤوط،

بيروت – مؤسسة الرسالة، ط ٢- ١٩٨٢م.

٣٤ - الرازي، زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر (ت٦٦٦هـ) مختار الصحاح، بيروت – مكتبة لبنان، ١٩٨٩م.

٣٥ - الرازي، محمد فخر الدين (ت٦٠٤هـ) تفسير الفخر الرازي، بيروت - دار الفكر، ط١ – ١٩٨١م.

٣٦ - الراغب، أبو القاسم الحسين بن محمد (ت٥٠٢هـ) المفردات في غريب القرآن، تحقيق: محمد سيد كيلاني، بيروت – دار المعرفة.

٣٧ - الراوندي، سعيد بن هبة الله (ت٥٧٣هـ) منهاج البراعة , تحقيق: عبد اللطيف الكوهكمري، قم – مطبعة الخيام،١٤٠٦ هـ.

٣٨ – ابن رجب، زين الدين أبو الفرج عبد الرحمن (ت٧٩٥هـ) جامع العلوم والحكم، تعليق ماهر ياسين، بيروت – دار ابن كثير، ط١- ٢٠٠٨.

٣٩ - الريشهري، محمد، ميزان الحكمة، قم – دار الحديث، ط١ – ١٤٢٢هـ.

٤٠ - الزبيدي، محمد بن محمد بن عبد الرزاق (ت١٢٠٥هـ) تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: مجموعة من المحققين، بيروت – دار الهداية .

٤١ - السخاوي، محمد عبد الرحمن (ت٩٠٢هـ) المقاصد الحسنة، تحقيق: محمد عثمان الخشن، بيروت – دار الكتاب العربي، ط١ – ١٩٥٨م.

٤٢ – ابن سعد، محمد بن سعد بن منيع البصري (ت ٢٣٠ هـ)، الطبقات الكبرى، بيروت، دار صادر، ١٩٥٧م.

٤٣ – ابن شبة، عمر بن شبة بن عبيدة (ت ٢٦٢هـ) تاريخ المدينة، تحقيق: فهيم محمد شلتوت، ١٣٩٩هـ.

٤٤ - شمس الدين، محمد مهدي، دراسات في نهج البلاغة، بيروت – دار الزهراء، ط٢- ١٩٧٢م .

٤٥ – ابن شهراشوب، أبو جعفر محمد بن علي (ت ٥٨٨هـ) مناقب آل أبي طالب، تحقيق: يوسف

البقاعي، بيروت – دار الأضواء، ط٢ – ١٤١٢هـ.

٤٦ - الشيرازي، ناصر مكارم، نفحات الولاية، إعداد: عبد الرحيم الحمراني، قم – سليمان زاده، ط٢ – ١٤٢٦هـ.

٤٧ - الصالح، صبحي، نهج البلاغة، القاهرة – دار الكتاب المصري، ط٤ – ٢٠٠٤م.

٤٨ - معاني الأخبار، الصدوق، أبو جعفر محمد بن علي (ت٣٨١هـ)، تصحيح: علي أكبر الغفاري، قم - مؤسسة النشر الإسلامي، ١٣٧٩هـ.

٤٩ - كتاب الخصال، صححه: علي أكبر الغفاري، قم – الحوزة العلمية .

٥٠ - الطباطبائي، السيد محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن، بيروت مؤسسة الإعلمي، ط ا – ١٩٩٧، ١٢٨/٦.

٥١ - الطبري، محمد بن جرير (ت٣١٠ هـ) تاريخ الطبري، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، مصر – دار المعارف، ط٢.

٥٢ ـ العاملي، جعفر مرتضى، الصحيح من سيرة الإمام علي، المركز الإسلامي للدراسات، ط١- ٢٠٠٩م.

٥٣ ـ عبد الحميد، محمد محيي الدين، المختار من صحاح اللغة، القاهرة – المكتبة التجارية .

٥٤ – ابن عساكر، أبو القاسم علي بن الحسن (ت٥٧١هـ) تاريخ مدينة دمشق، تحقيق: محب الدين العمري، بيروت – دار الفكر، ١٩٩٥م.

٥٥ ـ العسكري، مرتضى، معالم المدرستين، القاهرة – مكتبة مدبولي، ط٥ – ١٩٩٣م.

٥٦ ـ المتقي الهندي، علاء الدين علي (ت٩٧٥هـ) كنز العمال، تصحيح: صفوة السقا، بيروت – مؤسسة الرسالة، ط٥ – ١٩٨٥.

٥٧ ـ العقاد، عباس محمود، شخصيات إسلامية، بيروت – دار الكتاب العربي.

٥٨ ـ الفكيكي، توفيق، الراعي والرعية، بغداد – مطبعة أسد، ١٩٦٢م.

٥٩ - الفيومي، أحمد بن محمد بن علي المقري (ت٧٧٠هـ) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، مصر – مكتبة محمد عبد الواحد بك، ط١ – ١٣٢٢هـ.

٦٠ - القبانجي، السيد حسن، مسند الإمام علي، تحقيق: طاهر السلامي، بيروت – مؤسسة الأعلمي، ط١- ٢٠٠٠م.

٦١ - القمي، عباس بن محمد رضا بن أبي القاسم (ت١٣٥٩هـ): منازل الاخرة، ترجمة: حسين كوراني، سوريا دار التعارف، ١٩٩٣م.

٦٢ - سفينة البحار، قم – دار الاسوة، ط٢-١٤١٦هـ .

٦٣ - الكافي: الكليني، محمد بن يعقوب (ت٣٢٩ هـ) أصول الكافي، بيروت – منشورات الفجر، ط١-٢٠٠٧م.

٦٤ – ابن كثير، أبي الفداء إسماعيل (ت ٧٧٤هـ) البداية والنهاية، تحقيق: محيي الدين أديب، بيروت

– دار بن كثير، ط٢ – ٢٠١٠ م.

٦٥ - اللحجي، عبد الله بن سعيد محمد (ت١٤١٠هـ) منتهى السؤول، جدة – دار المنهاج.

٦٦ - لوبون، غوستاف (ت ١٩٣١م) روح الإجتماع، ترجمة: أحمد فتحي زغلول، مصر- دار الجماهير، ١٩٠٩م.

٦٧ – ابن ماجة، أبو عبد الله محمد بن يزيد (ت٢٧٣هـ) سنن ابن ماجة، تحقيق: محمد فؤآد عبد الباقي، بيروت – دار إحياء الكتب العربية.

٦٨ - المامقاني، عبد الله (ت١٣٥١هـ) تنقيح المقال في علم الرجال، تحقيق: محيي الدين المامقاني، قم – مؤسسة آل البيت، ط١- ١٤٢٣هـ.

٦٩ - المتقي الهندي، علاء الدين علي (ت٩٧٥ه) كنز العمال، تصحيح: صفوة السقا، بيروت – مؤسسة الرسالة، ط٥ – ١٩٨٥.

٧٠ - مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، ط٤ – ٢٠٠٤م.

٧١ - محمد نوح، آفات على الطريق.

٧٢ - مسلم بن الحجاج (ت٢٦١هـ)، صحيح مسلم، تحقيق: محمد فؤآد عبد الباقي، بيروت – دار احياء التراث العربي.

٧٣ - مطهري، مرتضى، في رحاب نهج البلاغة، بيروت - الدار الإسلامية، ط١-١٩٩٢م

٧٤ - الحائري، أيوب , قبسات من نهج البلاغة.

٧٥ - الآمالي، الشيخ المفيد، محمد بن محمد بن النعمان العكبري (ت٤١٣هـ)، دار التيار الجديد

٧٦ - الجمل , ط١-١٤٠٣هـ .

٧٧ - الإختصاص، تحقيق: علي أكبر غفاري، بيروت – مؤسسة الأعلمي، ط١ – ٢٠٠٩م.

٧٨ – ابن منظور، لسان العرب، تحقيق: عبد الله علي الكبير وآخرون، القاهرة – دار المعارف.

٧٩ - المنقري، نصر بن مزاحم (ت٢١٢هـ) وقعة صفين، تحقيق:عبد السلام محمد هارون، بيروت – دار الجيل، ١٩٩٠م.

٨٠ - المودودي، أبو الأعلى، الخلافة والملك، تعريب: أحمد المدرس، الكويت – دار القلم، ط١ – ١٩٧٨م

٨١ - ميكافيلي، كتاب الأمير، ترجمة: أكرم مؤمن، مكتبة ابن سينا.

٨٢ - النيشابوري، محمد بن الفتال (ت٥٠٨هـ) روضة الواعظين، تحقيق غلام حسين المجيدي، قم- مطبعة نكارش، ط١–١٤٢٣م.

٨٣ - هيثمي، نور الدين علي بن سليمان (ت ٨٠٧هـ) بغية الباحث عن زوائد مسند الحارث، تحقيق: حسين أحمد صالح، السعودية – الجامعة الإسلامية، ط١-١٩٩٢م.

٨٤ - الواسطي، كافي الدين أبي الحسن (ق٦هـ) عيون الحكم والمواعظ، تحقيق: حسين الحسني، قم – دار الحديث، ط١ – د. ت.

٨٥ - الواقدي، عمر بن واقد (ت٢٠٧هـ) فتوح الشام، تصحيح: عبد اللطيف عبد الرحمن، بيروت

– دار الكتب العلمية، ط١ – ١٩٩٧م.

٨٦ - الآلوسي، شهاب الدين السيد محمود (ت١٢٧٠هـ) روح المعاني، تحقيق: علي عبد الباري عطية، بيروت – دار الكتب العلمية، ط١- ١٤١٥هـ.

٨٧ - ياقوت الحموي، شهاب الدين أبي عبدالله (ت ٦٢٦هـ) معجم البلدان، بيروت – دار صادر , ١٩٥٦م.

٨٨- اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب (ت٢٨٤هـ) تاريخ اليعقوبي، تحقيق: عبد الأمير مهنا، بيروت – شركة الأعلمي، ط١ – ٢٠١٠م.

٨٩ – أبو يوسف، يعقوب بن إبراهيم (ت١٨٣هـ) كتاب الخراج، بيروت – دار المعرفة، ١٩٧٩م.

المحتويات

مقدمة المؤسسة: ٥
المقدمة: ٩
المدخل: ١٥
عهد الإمام علي (عليه السلام) لمالك الأشتر (رضي الله عنه): ٣١
المبحث الأول : صلاح الراعي ٤١
الصلاح لغةً: ٤١
الصلاح اصطلاحًا: ٤٢
المبحث الثاني: إصلاح الرعية ٦٩
الإصلاح لغةً: ٦٩
الإصلاح اصطلاحاً: ٧٠
الرعية: ٧٣
الخاتمة: ١٠٩
قائمة المصادر والمراجع ١١١